الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'enseignement supérieur
et de la recherche scientifique
Université 8 Mai 1945 – Guelma
Faculté : des lettres et langues
Département de la Langue et Littérature
Arabe

الرقم: ..... N°: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيـل شهـادة

الماستر

تخصص: أدب جزائري

جدلية الأنا والآخر في الرّحلات الجزائرية الحديثة
رحلات أبي القاسم سعد الله أ نموذجًا

مقدمة من قبل:

الطالب (ة): ندى جريبي

الطالب (ة): نسرين سيساوي

تاريخ المناقشة: 13/ 07 / 2021

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
ميلود قيدوم	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
أحلام عثامنية	أستاذ محاضر (أ)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا
شوقي زقادة	أستاذ محاضر (ب)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مناقشا

السنة الجامعية: 2020/ 2021

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

الآية [07] من سورة إبراهيم

الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونصلي ونسلم على خير خلقه وخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد:

لا يسعنا وقد منّ الله علينا بإنجاز هذا العمل، إلا أن نتقدم بخالص شكرنا إلى والدينا الكريمين.

كما نتقدم بجزيل الامتنان لأستاذتنا الفاضلة الدكتورة "أحلام عثامنية" التي تبنت هذا العمل ورعته فإليها نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان، فجزاها الله عنّا خير الجزاء.

كما نشكر الأسرة الجامعية بجامعة 8 ماي 1945 قالمة، وبخاصة عمال كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي إدارة وأساتذة، وإلى كلّ من ساهم في إنجاز هذا العمل ولو بكلمة من قريب أو بعيد.

مقدّمة

مقدّمة

عرف الإنسان الرّحلة منذ العصور القديمة، في عهود الجاهلية كفعل طبيعي جاء لظروف وأسباب معيشية مختلفة، تحدّدت من خلالها خصائص فن الرّحلة، ومدارس التأليف، ومختلف أسبابها ومصادرها المتنوّعة، السياسية والاجتماعية، والثقافية والدّينية والعلمية.

شهدت الرّحلة انفتاحا معرفيًّا وفنيّا أكبر، حيث تعدّ من الألوان التعبيرية الأوّلى، التي تعتمد على السرد بضمير المتكلم، وتعبر عن الأنا مع انفتاحها مع الآخر، ممّا دفع الباحثين والدارسين اختيار فن الرّحلة موضوعًا للبحث، هذا هو التميز الذي اختصت به الرّحلات عن باقي الأنواع الفنّية الأخرى، كالمقامة، والسيرة، والرواية، والقصة...

على الرّغم ما لكل فن من خصوصية وجمالية، على أنها تحقق أكبر مبتغى فني وأرقى مصنفات أدبية، استحقّت أن تضمن لنفسها حيزًا مهما ضمت طاقم الأجناس الأدبية، التي جمعت من الفنون والمعارف في شكل واحد، وهو النص الرّحلي الذي يكون في متنه ومضمونه، سرد الأحداث، سفر الرّحلة ومراحله، وتحديد الإطار المكاني والزماني، ودور الشخصيات معتمدًا في ذلك على الوصف كأهم عنصر، كون الرحالة في انتقاله يصف مشاهداته من أحداث متراتبة، وما صادفه في مساره من عادات وتقاليد وسلوكات وتقديمها صورة منطقية منطبعة بأحاسيس الإعجاب، والاعتزاز بالذات ممّا توفر للقارئ جانبان: جانب من الإمتاع الجمالي والتشويق، وجانب الإفادة من النص الرّحلي، حيث توسع أفق الثقافة والتعريف بالملامح الإنسانية والاجتماعية العامة لأهل البلدان التي زاروها، حيث يجسدها الرّحالة في نصوص مختلفة، وذلك بحسب اختلاف النص الرّحلي وطبيعة العصر الذي دوّن فيه الرّحلة، وهذا ما جعل فن الرّحلة محتلا منزلة مهمّة عند القراء.

تجلّى الهدف من هذه الدراسة الكشف عن خصوصيات مضمون الرّحلة، وطبيعة البناء الفني لتلك الرّحلات، ذلك عن طريق كيفية التحديد والوصف الجغرافي والمكاني للطرق والمدن، وعن طبيعة الشخصيات وهوّياتهم، ووظائفهم كما بحثت هذه الدراسة أيضا عن أبرز مكانين في الرّحلة وهما: مكان الرّحلة ومكان السرد في الرّحلات، وطبيعة اللغة الموظّفة في نصوص الرّحلة.

من خلال قراءتنا لبعض الرّحلات وجدنا بروز ثنائية الأنا والآخر، التي تعدّ عنصرًا مهما في هذا اللّون الأدبي، وهذا ما دفع بنا إلى اختيار موضوعنا المعنون بـ: "جدلية الأنا والآخر في الرّحلات الجزائرية الحديثة أبو القاسم سعد الله أنموذجًا"، وقد تولّدت عن هذا البحث الإشكالية الآتية:

- كيف تجلّت ثنائيه الأنا والآخر في رحلات أبي القاسم سعد الله؟ وما هي أهم ثنائية؟

وقد تفرّعت عن هذه الإشكالية التساؤلات الآتية:

- كيف ظهرت جدلية الأنا والآخر؟ وما هي العلاقة القائمة بينهما؟
- كيف جاءت البنية السردية في رحلات أبي القاسم سعد الله؟

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي، لأنّه الأنسب لهذا الموضوع الذي اقتضى تقسيمه إلى مقدّمة ومدخل وفصلين تطبيقيين وخاتمة، تناولنا في المقدّمة أهم نقاط البحث، من أهم أسباب اختيار الموضوع والأهداف المرجوة منه وطرح الإشكالية.

أما المدخل فعبارة عن قسم نظري خصصناه لبعض المفاهيم (الأنا، الآخر، العلاقة القائمة بينهما، الرّحلة في الأدب الجزائري الحديث).

وجاء الفصل الأوّل بعنوان البنية السردية، في رحلات أبي القاسم سعد الله حيث تحدثنا فيه عن أهم الأحداث المترتبة في الرّحلات والزمن الذي يتكون من (المنطلق، والمسير، والوصول) والمكان والشخصيات، حيث يُعدّون عناصر أساسية ورئيسية لدراسة البنية السردية.

وبناءًا عليه جاء الفصل الثّاني تحت عنوان جدلية الأنا والآخر في رحلات أبي القاسم سعد الله، حيث كان حديثنا عن الأنا والآخر وعن تغيرات أوضاع الآخر، حيث أشار فيه لدى الرّحالة إلى جوانب جغرافية وثقافية واجتماعية وانتهى البحث بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها.

من بين أهم المراجع والمصادر التي اعتمدنا عليها نذكرها كالآتي:

- الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري سميرة أنساعد.
- الذات والآخر في الرواية السورية لإبراهيم خليل الشبلي.
- أدب الرّحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل.
- صورة الأنا والآخر في أدب الرّحلات الأندلسية والمغربية بلال سالم الهروط.

كما أن قلّة الدراسات النقدية للرّحلات عمومًا والرّحلات الجزائرية خصوصا، وعدم وجود محاولات سابقة مرشدة لنا في هذا الموضوع اهتمت بأدب الرّحلة ولكنها لم تعن بالنصوص مباشرة أو دراسات تطبيقية، فهي قد ركّزت على رحلات مشرقية ومغربية دون الإشارة إلى الرّحلات الجزائرية، ممّا يعجز البحث عن تحليلها.

وفي الأخير نحمد الله كثيرًا وطيبا، وهو الغني الحميد، كما نتقدم بجزيل الشكر والاحترام لأستاذتنا المشرفة: **أحلام عثامنية** التي كانت لنا محفزا ومرشدا ومعينا من أجل مسايرة هذا البحث الذي يكفيه شرفا أنّه قبلت به مشرفًا علينا.

ونتقدم أيضا بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة على تجشّمها عناء قراءة هذا البحث وتقويم أخطائه وهفواته.

مـــدخـــل

مفاهيم وإجراءات

أوّلا– ثنائية الأنا والآخر

1– مفهوم الأنا.

أ–علم النفس.

ب– الفلسفة.

2–مفهوم الآخر.

3– العلاقة بين الأنا والآخر.

4– أدب الرّحلة.

أ–من الرّحلة إلى أدب الرّحلة.

ب–الرّحلة في القرآن الكريم.

ج–أدب الرّحلة الجزائري الحديث.

أوّلا– ثنائية الأنا والآخر:

انتشر في الخطاب العربي خلال الآونة الأخيرة، استعمال مفاهيم كثيرة لم تكن متداولة من قبل. فعندما يشيع مفهوم من المفاهيم لأول مرة، ليعبر عن وضعية اجتماعية أو سياسية أو فكرية أو ثقافية، يتعامل مع هذه المصطلحات بطريقة متغايرة وبثقافة مغايرة، فأصبح هذا التبادل الثقافي بين شعب وشعب آخر، وثقافة وثقافة أخرى، محل اهتمام لدى كثير من المفكرين والدارسين، للثقافات وهذا ما يعرف بالثقافة التعددية، أي الاختلاف في الدين والفكر...

وعلى الرّغم من هذا الاختلاف، ظهرت ثنائية الأنا والآخر التي تعد ثنائية مهمّة مما أحدثت جدلا كبيرا في ميدان الدراسات الأدبية والثقافية، وحتى عن العلاقة القائمة بينهما، ومن هنا نتطرق إلى تقديم مما تيسر من مفاهيم لكل منهما:

1– مفهوم الأنا:

اختلفت آراء الدارسين حول مفهوم "الأنا" لأنه من الصعب وضع مصطلح دقيق وواحد له، لذلك تناوله العديد من الباحثين في علم النفس، والفلسفة، كل منهما أعطى مفهوم خاص من خلال مرجعيته الفكرية والثقافية.

أ– علم النفس:

«**أنّها الشعور بالوجود الذاتي المستمر، والمتطور بالاتصال مع العام الخارجي**»[1]، ومن أبرز سمات الأنا الوعي، فهي ذات تدرك تصرفات الإنسان بوصفه فردا ينتمي إلى مجتمع يتفاعل معه، لأنها «**متصلة بعالم الواقع اتصالا مباشرا، وهي حلقة اتصال بين النزعات الغريزية، مثيرات العالم الخارجي، ولها نزوع أخلاقي يحافظ على القيم ويرعى التقاليد**»[2] وهذا يعني أن الأنا ذات طبيعة تطورية من خلال التأثّر بالعالم الخارجي، والقيم السائرة فيه وهي الوجهة الأولى بهوية الفرد وأفكاره.

[1] – إبراهيم الشبلي: الذات والآخر في الرواية السورية، دار فضاءات، سوريا، ط1، 2019، ص 13.

[2] – المرجع نفسه، ص 13.

ب– الفلسفة:

اختلفت الأنا باختلاف المذاهب الفلسفية، وتعدد الرؤى يقصد بها الفلاسفة العرب "**النفس المدركة**"[1] فهي: «**ليست ثابتة لأنها مركبة معقدة، ومتغيرة**»[2] فالانا جوهر الذات تعرف ما يجري بداخلها، من أحاسيس ومشاعر وغيرها... هذا ما جعل باتفاق الفلاسفة على أن النفس موقع الأنا مثلما يقول ديكارت: «**النفس التي أنا بها ما أنا**» أي إن أنيته في النفس أو في الأنا المفكر.

بمعنى أنّ الأنا مركزها الوعي، وهي المسؤولة على تعاملها مع الواقع الخارجي وجزء من الجهاز العصبي، وهي المدركة لكل حالة نفسية.

2– مفهوم الآخر:

اشتمل مفهوم الآخر، على العديد من المفاهيم باختلاف الزوايا التي درس من خلالها، كما أنّه «**يعد مقوما جوهريا من مقومات الذات**»[3] فهما متلازمان على المستوى المفاهيمي، وهو تعبير عن طبيعة الآلية التي يتم وفقا لها.

وقد شاع بوصفه مصطلحا في الدراسات الأدبية المقارنة في الاستشراف والخطاب الاستعماري وما بعده، كما أنّه «**مفهوم مزود بمعنى إلى أنه يعني الكلية الاجتماعية والإيديولوجية والحضارية المجاورة للذات في الزمان والمكان بمفهومها الواسع**»[4] ولكن مفهوم الآخر لا يقتصر على المعنى المتداول، الذي يعني السمات التي تميز مجموعة بشرية عن غيرها.

إذا إنّ صورة الآخر وكذلك الأنا، تتضح من خلال وصفها في مرآة الحياة الاجتماعية، وذلك لرؤية المصورة المشابهة أو المختلفة لكليهما.

---

[1] – إبراهيم الشبلي: الذات والآخر في الرواية السورية، ص 14.

[2] – المرجع نفسه، ص ن.

[3] – عمرو عبد العلي علام: الأنا والآخر الشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص 11.

[4] – إبراهيم الشبلي: الذات والآخر في الرواية السورية، ص 14.

3- العلاقة بين الأنا والآخر:

إنّ العلاقة بين الأنا والآخر باعتبار الأنا العربي والآخر الغربي متواصلة ومستمرة مع استمرار الإنسان والجدل بينهما قائم في مختلف المجالات والميادين على مر العصور والأزمنة، فمنذ أن خُلق الإنسان على وجه الأرض وهو ينتقل ويرتحل من مكان لآخر، ومن بلد لآخر قصد تحقيق هدفه.

أصبحت هذه العلاقة تشكل إشكالية لابد من التطرق لها، لأنّ التواصل بين الأنا والآخر ليس بالأمر السهل لأنّه أحيانا يكون بالمفاهمة والمصالحة والاحترام بين الطرفين وأحيانا أخرى يكون بالاختلافات والصراعات، ووجود الطرف الثاني أمر ضروري لتحقيق الكينونة ضمن «**الشروط الأولية لبناء وحدة بسيكولوجية اجتماعية هو إنشاء صورة الآخر، فبفضلها تتحقق نزعة الفرد خلف انشطار... بين "النحن" و"الهم"، وإلى تثبيت الفروق بين هؤلاء وأولئك**»[1]، لا يمكن الاستغناء على الأنا أو الآخر فوجود الأنا يلزم بالضرورة وجود الآخر لأنّه يفيدنا في التطور في مختلف الأوساط المعرفية وباختلاف الجوانب السياسية والاجتماعية والحضارية والثقافية، ومن خلال هذا الاحتكاك والتواصل يكون العربي رؤى مختلفة ومتعددة متباينة عن الآخر الغربي حتى تتمكن الأنا من إدراك نفسها.

لا تقوم العلاقة دون وجود الطرف الثاني فالثنائية أساسها الأنا والآخر والتخلص من طرف لا يؤدي إلى المبتغى «**فالآخر حال في المجال الوجودي للهوية، إنه يمثل ويشكل مفارق موضوع إغراء منبع للحيطة والحذر**»[2]، فمكانة الآخر وتطوره تضع الأنا في دائرة الخوف منه ومن السيطرة عليه، وهذا الاختلاف بينهما لا يعني البعد بل هذه الثنائية لا تقوم بدون الطرف الآخر.

أصبحت ثنائيات الأنا والآخر التي تمثل على الترتيب الشرق والغرب دراسات تقوم حول جدلية هذه العلاقة، وكما نجد الدارسون بينوا أنواع مختلفة للتعامل الحاصل بينهما فنجد «**مصطلح الهوس (Mania) على انبهار الذات بالآخر، كما وسموا العلاقة القائمة على الخوف منه بـ (Phobia) وموقف الفهم**

[1] – إبراهيم الشبلي: الذات والآخر في الرواية السورية، ص 24.

[2] – المرجع نفسه، ص ن.

والحوار بـ Philia وموقف الوحدة بـ Unity»[1]، والظروف التي تكون بين الطرفين هي من يحدد نوع العلاقة بينهما سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم عسكرية.

فمثلا إذا كانت هناك دولتين الأولى تمثل الأنا والثانية الآخر في حرب، فالعلاقة بينهما تكون علاقة انفصال وتنافر تبعًا للأحداث التي تجري بينهما لكن على الرغم من هذا الاختلاف إلا أن الآخر يبقى له دور إدراك الذات ومعرفتها.

نجد أنّ هناك تلاقي واحتكاك بين الأنا والآخر وذلك من خلال ما يعرف بالاستشراق الذي هو مجموعة البعثات القادمة من الغرب نحو الشرق بهدف الاكتشاف والمقابل له مصطلح الاستغراب الذي هو معاكس له هو «**الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض من الاستشراق فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب) يهدف علم الاستغراب إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر**»[2]، فمنه يمكننا القول أنّ كلّ من الأنا والآخر يمكنه التلاقي وهذا التلاقي يكون لدوافع وأسباب سياسية أو اقتصادية ومن أجل هدف التعرف والمقارنة.

فالرّحلة بمفهومها العام هي تجربة حياتية يقوم بها الرحالة ويقدم من خلالها كل ما شاهده ومرّ به وتعايش معه خلال فترة رحلته إلى بلد أجنبي، بحيث يعطينا صورة من الآخر التي «**تطرح جملة من الاختلافات كمفهوم الثقافة والهوية والحياة الاجتماعية للآخر، مما يبرز سلطان الأنا في هذا الوصف، فضلا عن إظهار الصراع بين الأنا والآخر وتقديم الأنا بصورة الآخر عبر أنساق ثلاثة (السياسي، الديني، الثقافي)**»[3]، فالرّحالة من خلال رحلاتهم ينقلون صورة الآخر من جميع الجوانب التي عايشوهم فيها ويتغلغلون

[1] – إبراهيم الشبلي: الذات والآخر في الرواية السورية، ص 19.

[2] – عبد الحليم عطية: جدل الأنا والآخر، قراءات نقدية في فكر حسن حنفي، مكتبة مدبولي الصغير للنشر، المواحدية، ط1، 1997، ص 150.

[3] – شرايطية إبراهيم: سلطان الأنا وصورة الآخر في رحلة ابن جبير، مجلة الأثر، جامعة القيروان، تونس، ع 30، جوان 2018، ص 242.

في العناصر المكوّنة له من ثقافة وفكر وأسلوب عيش وغيرها، ومن ذلك يمكن المقارنة بين الأنا والآخر وتقديم خلفية معرفية وهذا ما يمكننا التعرف عليه.

وعلى الرّغم من الصراع القائم بين هذه الثنائيات إلا أنّه يمكن حل الخلاف القائم باعتبار الآخر مجرد عنصر فعال يمكن الاستفادة منه وبأنه جسر نحو التعرف على العالم بكل ما فيه من أجل الرقي والتطور، فالآخر نستطيع من خلاله الاندماج في العالم الخارجي ومعايشته والوصول إلى مدى بعيد من خلاله. والعلاقة تتحقق بتوفر الطرفين، وهذا بهدف الانفتاح والخروج عن الماضي والركود إلى ما هو جديد.

4- أدب الرّحلة:

أ- من الرّحلة إلى أدب الرّحلة:

يُعدّ السفر من أقوى الروابط التي تفرض لقاء "**الآخر**" هذا الطرف المقابل للذات "**الأنا**" ليحصل التحاور والتعارف فالإنسان جُبل على الحركة والارّتحال من مكان لآخر، قصد تحقيق أغراض ومنافع قد تكون فردية أو جماعية، من هنا كانت الرّحلة إحدى المقومات التي تركّز عليها الحياة لتكسب النصوص الرّحلية، فيما بعد أهمية كبرى كونها تتبع حياة الشعوب لحظة بلحظة وترصد الثغرات والتطورات الحاصلة عبر المراحل والفترات المختلفة، لتمثل نمط المعيشة وتطور طرق التواصل بين المجتمعات والشعوب والحضارات.

شكل أدب الرّحلة أرضية خصبة لتلقي الآخر واستقباله بأن اهتم به ودرسه من مختلف جوانبه «**فلا يمكن الحديث عن الرّحلة دون ربطها جملة وتفصيلا بالعيرية بمعنى أن النص الرّحلي لا ينتج حقيقة إلا من خلال الاحتكاك بكل ما هو أجنبي وغير مألوف وغرائبي**»[1]، فهي محطة لاكتشاف الذات واكتشاف الآخر أيضا، ومن ثمة التعرف عليه فلطالما كان الانتقال من مكان لآخر عنصرًا فاعلًا في رصد صورة الغير، من خلال الاحتكاك، وعلى التواصل مع هذا الأخير المختلف عنا في تفاصيل شتى، وربما المشابهة لنا في بعض منها، لينبثق في الأخير وعي لذواتنا وللآخر من جهة ثانية، وتُرسم صورة يتفاعل فيها الطرفان عبر نصوص رحلية كان لها الإسهام الكبير في ذلك.

[1] – رشيد الحضري وآخرون: الرحلة مغامرة أم مشروع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنسك، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013، ص 23.

فأدب الرّحلة من الفنون المتجذرة في تراثنا العربي، وقد حظي كغيره من الأجناس الأدبية الأخرى بعناية النقاد والدارسين الذين تلقوه، كل واتجاهه النقدي، وهنا يتبقى التوجه إلى أن هذا النوع من الأدب قد شهد عديد التعريفات والمفاهيم ولا يمكن الوقوف على مفهوم دقيق نظرا لوجود نصوص رحلية كثيرة ومتنوعة، وكذا عدم اتفاق الرحالة اللغويين على مفهوم دقيق، وهذا ربما يعود لطبيعتها التي تجمع بين الإفادة والإمتاع، إضافة إلى ارتباطها مع تفرعات أخرى فقد «**شكلت الرّحلات البوابة التي انطلقت منها الكثير من الرؤى والأحكام والتصورات عن الآخر**»[1]، فهي منفذ لمعرفة ثقافة الآخر، لتعد أكثر المدارس تثقيفا، كونها تثري أفكارنا وتأملاتنا حول أنفسنا وحول هذا الآخر، فتكتسب بذلك قيمة تثقيفية تعليمية بأن شربت من مناهل شتّى، راصدة صورة الأنا والآخر اللذان شكلا مكانة مركزية في الدراسات المقارنة من جهة، ومن جهة أخرى «**في أدب الرّحلة، وهذا التقاطع في دراسة الآخر وتمثيله في الأدب المقارن يجعل منه نوعا أدبيا منفتحا على العديد من الأنساق والمنظومات الفكرية**»[2]، التي ضمنت انتقال صور الشعوب وتبادلاتها ورصدت بمظهراتها في أوقات ومراحل مختلفة، دون أن تغفل دول الرّحلة في تلقي أشكال وموضوعات الآخر سواء بطرق مباشرة بالتنقل والمعاينة والمشاهدة أو عن طريق السماع والإخبار وما إلى ذلك من طرق التواصل.

ب- الرّحلة في القرآن الكريم:

تعدّ الرّحلة من ضروريّات الحياة الإنسانية، فلا تخلو حياة البشر من الحركة والسفر والانتقال من مكان لآخر للولوج في هذا العالم الفسيح المتشعب، نجد أولى الرّحلات في حياة البشرية هي رحلة آدم عليه السلام وزوجته حواء من جنات عدن إلى الأرض حين تركا في مكانيين متباعدين فكان السعي إلى الالتقاء من جديد ضرورة لابد منها ولتصبح الرّحلة سنة في الحياة «**فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان وقد هيأه الله لها وجعلها إحدى الركائز التي تقوم عليها حياته ومن الآليات التي يتبعها لتحقيق أغراضه وحاجاته المختلفة، فالحق أن الإنسان منذ أن يولد حتى يموت في رحلات**

[1] – بلال سالم الهروط: صورة الآخر في أدب الرّحلات الأندلسية، رسالة مقدمة لاستكمال الحصول على درجة الدكتوراه، إشراف: فايز القيسي، جامعة مؤتة، الأردن، 2016، ص 14.

[2] – مكي سعد الله: الأنا والآخر في أدب الرحلة، دراسة نقدية مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الأدب الحديث، إشراف الطيب ودربالة، جامعة باتنة1، الجزائر، 2017، ص 104.

دائية تتعدد أشكالها بمرور الأيام وبتغير الظروف والأحوال بل إن لحظات ميلاده تعد رحلة من رحم الأم إلى دنيا البشّر»[1] فالارتحال من طبيعة البشر ولد معه وأدى دورا مهما في سير حياته من أجل الوصول إلى ما يريد وتحقيق حاجياته من خلال البحث في مناكب الأرض ولقد ورد فظ الرّحلة في القرآن الكريم في عدة مواضع، وكلها تدل على الضرب في الأرض والسير في مناكبها لأجل التأمل والتدبر في خلق الله سبحانه وتعالى.

أشار القرآن الكّريم إلى عدة رحلات قام بها الأنبياء كسيدنا موسى، ويوسف، ونوح، التي تمثل رحلة في بطن الحوت حدثا ملهما للخيال، ومحمد صلوات الله عليه «**أوردها لتكون دليلا على أهمية الرّحلة في صقل هؤلاء الأنبياء كي يكونوا قادرين على تحمل الأمانة والقيام بعبء الرسالة**»[2] حتى تكون هذه الآيات عبرة يقتدي بها الذين من بعدهم وينتهجون نهجهم ويكونوا رسالة لهم، فنجد القرآن يصرح بلفظة الرّحلة في قوله تعالى:﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2)** ﴾ [سورة قريش: الآية (1-2)]

أمر الله بالسفر والتنقل من أجل التأمل والتدبر في الكون وخلق، فيقول عز وجل: ﴿ **قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (11)** ﴾ [سورة الأنعام: الآية 11]، حتى يتسنى للإنسان من خلال رحلاته التعرف على الأمم والشعوب وتحديد نشاط الإنسان الاجتماعي والديني ويقول أيضا ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (21)** ﴾[3] [سورة غافر: الآية 21]، فالهجرة والتنقل تضمن فوائد كثيرة كالبحث عن مكان أفضل للعيش وضمان الأمن والأمان والاستقرار المادي والمعنوي

[1] – فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2002، ص 17.

[2] – ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي (في نهاية القرن الرابع الهجري)، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1995، ص 83.

[3] – القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)، دار القيمة، سوريا، (د. ط)، (د. ت)، سورة غافر، الآية 21.

وتوفر سبل الحياة من جميع النواحي سياسية إدارية عكس ما كان عليه قديما مفهوم الرّحلة ضيق ينحصر في الحج وطلب العلم وكسب الرزق.

ج- أدب الرّحلة الجزائري الحديث:

أنجز الجزائريون رحلات كثيرة نحو المشرق العربي، لأغراض مختلفة أبرزها طلب العلم، والقيام بفريضة الحج، والسياحة ببلدان المشرق المجتازة.

ومن الرحالة الجزائريون الذين اتجهوا صوب الحجاز، خلال العصر الحديث نجد كل من «**الطبيب المهاجي، والبشير الإبراهيمي، ومحمد الغسيري، وعثمان سعدي، ومحمد دبوز، وأحمد توفيق المدني، وأبي القاسم سعد الله، ومحمد عاصر، وأحمد منور، وهؤلاء تباينت مقاصدهم في الرّحلة، وغاياتهم في زيارة بلدان المشرق كما اختلفت اهتماماتهم ما بين الثقافة والدين والسياسة والفكر**»[1].

ولقد تعددت المحطات المشرقية المقصودة بالزيارة، لدى رحالي الجزائر المعاصرين، «**فارتحل الطيب المهاجي إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ولقاء علماء المنطقة، ورحلة البشير الإبراهيمي إلى باكستان، مرورا بباريس، ومصر، بينما شملت رحلات الغسيري الكثيرة بلدان مختلفة من الوطن العربي، ابتداء من طرابلس الغرب، وحتى سوريا، ولبنان مرورا بمصر والعربية السعودية**»[2] وهذا يعني أن الرّحلة في الجزائر لم تختلف عن مثيلتها في المشرق والمغرب، فهي رحلة تعتني بالذات والانطباعات والمشاعر.

نجد كذلك من بين هذه الرّحلات، رحلات المدني فشملت دولا عربية كثيرة منها طرابلس، ومصر، والسودان «**الرّحلة عنده إلى الحج جزئية جدا، طغت فيها المهام السياسية على غيرها، فاختلط الحديث فيها عن الحج والسياسة**»[3].

[1] – سميرة أنساعد: الرحلة في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور، دار الهدى، الجزائر، (د، ط)، 2009، ص 76.

[2] – المرجع نفسه، ص 76.

[3] – عمر بن قينة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، (د، ط)، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص 24.

وفي الأخير نقول إن الرّحلة في الجزائر، لم تختلف عن مثيلتها لأنها تطرح قضايا إيديولوجية وثقافية وحضارية، ثم تغايرت بعد ذلك في مساراتها، ودواعيها التي شملت بلدان مشرقية كثيرة، حيث شغلت الرحالين، وجعلتهم يصرون على تسجيلها لقراءة رحلاتهم من ذلك التعريف بمسار رحلاتهم، ووصف الطبيعة والمكان وصفا يقترب إلى الوصف العلمي.

الفصل الأول

البنية السردية في رحلات أبي القاسم سعد الله

أوّلا-

الأحداث.

ثانيا- الشخصيات.

1- الشخصية المركزية أو الفعالة

2- الشخصيات المساعدة للرّحالة

3- الشخصيات الثانوية

ثالثا- البنية الزمكانية في رحلات أبي القاسم سعد الله

1- بنية الزمن.

أ-زمن الرّحلة.

ب- زمن الانطلاق.

ج-زمن المسير.

د-زمن الوصول.

2- بنية المكان.

أ-مكان الرّحلة.

ب-المنطلق.

ج-المعبر.

د-مكان المقصد.

هـ- المكان التاريخي.

أوّلا– الأحداث:

ترتبط الأحداث بالسرد، وتمثل المحرك الأساسي له، وهي «**عملية ترتيبية لمجموعة من الأحداث، ينظمها إطار معين، وتخضع لخاصيات شكلية تميزها عن أنواع الخطاب الأخرى، كالشعر والنقد والمسرح...**»[1]، باعتبار أن الحدث هو عنصر فعال وضروري في البناء السردي الذي هو أساسي في بناء الرّحلة، ويمثل بالنسبة لها العمود الفقري الذي تقوم عليه.

فالرّحالة ينتقي ألفاظه التي يوظفها في سرده لأحداث رحلته باحترافية فنّية، لأنه يتصرف فيما يعترضه ويشاهده بالحذف والإضافة كما يشاء معتمدا في ذلك على ثقافته الفكرية والعلمية، وموظفا أيضا خياله الواسع الذي يصليه إلى المدى البعيد حتى يجعل من أحداث رحلته شيء خارق ومميز وهذا ما يميز الرحالة فيما بينهم وبين رحلاتهم.

يقول سعد الله في مقدمة الكتاب:«**يضم هذا الكتاب مجموعة من التجارب في الأدب والنقد والقصة والشعر وآراء في الحركة الأدبية في الجزائر والمغرب العربي، والوطن العربي على العموم كما يضم أخبار رحلتي إلى المغرب وإلى الجزيرة العربية، بالإضافة إلى رحلة أحد الأمراء الألمان إلى عنابة مترجمة عن الإنجليزية**»[2].

ويحتوي هذا الكتاب أيضا على رحلته داخل الوطن، التي أطلق عليها اسم زيارة لخنقة سيدي ناجي.

1-تمت أوّل رحلة له خارج الوطن إلى المغرب في 29 جويلية 1973م، التي كان عنوانها "**رحلتي إلى المغرب**"، حيث سجل في بداية الرّحلة دوافعه التي كانت أساسا تتمثل في تنفس هواء جدية والبحث عن المخطوطات الجزائرية.

سافر من مطار الدار البيضاء بالجزائر إلى مطار النواصر بالمغرب على متن طائرة اليونيغ التونسية، فشعر بإحساس قوي وهو محلق في السماء ويتأمل في ما هو في الأرض كأنه طائر يجوب في الأجواء المغربية،

[1] – تجارب في الأدب والرحلة لأبي قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 206.

[2] – المصدر نفسه، ص 70

يقول:«**عندما أعلنت المضيفة التونسية بصوت رخيم أن الطائرة ستبدأ في الهبوط بمطار النواصر... شعرت أن الطائرة كانت حمامة سلام ووحدة بين الأقطار الثلاثة**»[1]، كان يتمنى في نفس لو كان المغرب العربي موحدا ومتآزرا فيما بينه. أحل النظر عندما خرج الرحالة من المطار اتجه إلى الدار البيضاء في سيارة عمومية، وبعدها ركب سيارة أخرى لتوصله إلى "الرباط" الذي كان وجهته منذ البداية وفي مشوار الطريق أخذ الكاتب يتأمل الشوارع، فيقول :«**بدأت أنوار المدينة تتلألأ، بعضها يشكل أسهما وبعضها يشكل دوائرا وبعضها ينافس نجوم الليل أو بروق العواصف** »[2]، وصف الأجواء المغربية ليلا وصفا أدبيا عكس ميولاته وأحاسيس ينقله لنا الأنوار وهي تتلألأ بالأشكال الهندسية المتنوعة والمختلفة التي تذهل الأنظار، ولما توقفت السيارة سلك شارع محمد الخامس لينزل بفندق "**القولو**" الواقع بشارع حمص المتفرع عن محمد الخامس، وعلى الرغم من تعبه إلا أنه من هوله بتلك المناظر لم يستطيع النوم دون أن يتجول ويستمتع ولا يفوت عليه فرصة ذلك، وفي صباح اليوم الموالي خرج باكرا، وقصد المكان الذي مشيه ليلا حتى يتأكد من صحة ما رآه، ولما أشارت الساعة إلى الثامنة توجه إلى الخزينة العامة (المكتبة الوطنية) الهدف الجوهري من هذه الرّحلة، وجد في قسم الوثائق التسهيلات اللازمة التي مكنته من الاطلاع عليها، وهناك تعرف على الشيخ مولاي الطاهر الذي أفنى حياته في الحفاظ على هذا الموروث.

ثم انتقل الكاتب إلى الحديث عن الدكتور عباس الجراري الذي أخذه في جولة وعرفه على نواح كثيرة من المغرب الثقافي والاجتماعي حيث يقول:«**مدينة تجارية بمعنى كل الكلمة ففيها الشركات والبنوك المغربية والأجنبية بأعداد ضخمة**»[3]، هكذا كان وصفه لما اطلع عليه من جوانب حياة المغاربة المختلفة.

نرى أنّ أبو القاسم في رحلته هذه لم يبتعد في ذكره عن الأستاذة الذين التقى بهم وأسماء المكتبات المغربية وعمالها والمخطوطات العربية الأصلية وغيرها.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 206.

[2] – المصدر نفسه، ص ن.

[3] – المصدر نفسه، ص 222.

إذا، كانت رحلة سعد الله بمثابة السجل الذي دون فيه كل ما شاهده وعارضه وتطرق له من مشاهدات مختلفة، ونجدها اهتمت بالجانب العلمي أكثر من الجوانب الأخرى وما يدل على ذلك قوله: «... **وعزمت على تحقيق أمنيتي بشم هواء المغرب هذا العام، والنهل من ينابيعه الحضارية الثرّة، واكتشاف بعض مجاهله، والتعرف على أهله والتزود من مخطوطات خزائنه لكتابي عن تاريخ الجزائر الثقافي** »[1].

إذا يمكننا القول إن سعد الله صور الشعب المغربي الذي لا يزال متمسكا بأصالته الحضارية وعاداته وتقاليده.

ولا يخفى علينا مكانة العلم والعلماء في هذا البلد.

2-أمّا رحلته الثانية فكانت إلى السعودية بعنوان "**رحلتي إلى الجزيرة العربية**" والهدف الأساسي منها علمي وديني، لقد زار مدنية "**الرياض**" العاصمة السعودية، والمدينتين الشريفتين "**مكة والمدينة المنورة**".

بدأ سعد الله يسجل في الأحداث ذهابا وإيابا من مطار الجزائر إلى جدة حتى مضى الليلة وهو جالس على مقاعد المطار في الانتظار لكي يقلع في أول طائرة متجهة إلى الرياض، وفي اليوم نفسه الذي افتتحت فيه الندوة العالمية الأولى الخاصة بمصادر تاريخ الجزائر العربية خلال العصور المختلفة، فيروي حسن الاستقبال، كما يذكر غياب المشاركة الجزائرية بالكثافة الضرورية التي كان يجب أن تكون، مقارنة ببلدان عربية أخرى فيقول في ذلك «**رغم أن الدعوات قد وجهت إلى عدد آخر من الجزائريين فإنهم لم يشاركوا لأسباب لا نعلمها**»[2].

يحدثنا الكاتب عن افتتاح الندوة، وانطلاق أشغالها العلمية بالبحوث وطبيعتها ومستوياتها المختلفة، والانضباط في المواعيد والتنظيم المحكم، ليكسر التهم الموجهة للإنسان العربي من سوء تقديره للوقت،

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 205.

[2] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 241.

يقول:«**لقد كانت السيارات تتحرك من الفندق إلى القاعتين في الموعد المضروب بالضبط**»[1]، بالإضافة إلى ذلك جلسات الندوة العلمية التي وصف فيها مدينة الرياض.

شعر الرحالة بالفرح والمودة والطمأنينة في أثناء زيارته للمدينة وهو يخطو خطواته الأولى على ترابها يحقق آمال عريضة حتى قضى فيها ثلاثة أيام، فيقول:«**لم أكن أصدق أنني أسير على تراب المدينة وأنظر إلى جبالها ونخيلها وعمرانها**»[2]، كان منبهرا بجمالها الطبيعي.

ومن المدينة انتقل إلى جدة قاصدا مكة المكرمة، ليبوح بمشاعره وخطواته وأدائه وهو يزور هاته الأماكن المقدسة، كما لم ينسى ذكر الأشخاص الذين احتك بهم وتبادل معهم أطراف الحديث خاصة «**عدد من علماء السعودية من الجيل الجديد ومن الجيل القديم**»[3] ذكر أسماء من شاركوا معهم في الندوة وغيرهم كثير بأسمائهم.

فالرّحلة بالرغم من طابعها العلمي والثقافي والاستطلاعي حول الجانب الديني، وذلك من خلال أدائه لمناسك العمرة، وزيارته البقاع المقدسة مكة والمدينة والوقوف على تربتيهما، ووصف شعوره وانطباعه حيالهما.

3-تعدّ رحلة أبو القاسم سعد الله إلى «**خنقة سيدي ناجي**» أول رحلة له داخلية، حقق من خلالها رغبته التي كان ينتظر حلول وقتها، يقول:«**كنت أتحين الفرصة لزيارتها**»[4]، حيث كانت بدايتها من مدينة بسكرة رفقة صديقين، ولقد وضع للرّحلة طابعا عاما على الرغم من مقصده الثقافي منها.

يروي لنا أثناء رحلته أسماء القرى التي مر بها والأشخاص الذين التقاهم واستضافوه، وسجل أيضا بعضا من الأحاديث التي جرت بينهم خلال جلساتهم ولقاءاتهم التي كان يغلب عليها الطابع الثقافي، يقول: «**بداره على العسل والجوز**»[5] فهو يحدثنا عن الجلسة التي كانت بمنزل مؤذن مسجد "**السّوق**" وذكر من

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 243.

[2] – المصدر نفسه، ص 249.

[3] – المصدر نفسه، ص 246.

[4] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 257.

[5] – المصدر نفسه، ص 258.

حضر الجلسة كالسيد "**صالح السالمي**"، كما شرع في الحديث عما لاحظه في المحيط الاجتماعي، وما عانته المدينة وسكانها خلال فترة ثورة التحرير، حتى جذبه الجانب التاريخي الثقافي للمدينة لما عرفته قديما من نشاط ثقافي وديني في المساجد والزوايا بفضل علمائها ومثقفيها، وهو الواقع الذي جعل من المستعمر الغاشم أن يدمر ويشتت أثناء ثورة التحرير فينقل لنا الكاتب على لسان واحد من محدثيه:«**خروج الناس من الخنقة قائلين لي: لقد مرّت بنا سبع سنوات عجاف حتى أن أحدا لم يصعد إلى صومعة الجامع للآذان**»[1]، وخرج الكاتب وهو متأثر متحسر على حال هذه المدينة التي كانت في ماضيها عروسا لتصبح في حاضرها عجوزا.

ثانيا– الشخصيات:

اعتمد مؤلفو الرّحلة في تصوير الشخصية على الأساليب التعبيرية المباشرة المفصحة عن صفاتهم وخصائصهم النفسية، التي تظهر للناس على هذه الصورة من خلال تعامل الإنسان في المجالات الحياتية المختلفة ونجد على رأسها شخصية الرحالة، الذي تدور حوله أحداث الرّحلة وبه تستمر، وهو عنصر دائم الحضور في الرّحلة من نقطة بداية الانطلاق إلى نقطة نهاية الوصول.

ومن هذا المنبر يأتي الاهتمام بالشخصية والحديث عنها، إنها الشخصية التي لا تموت، وأحداثها حاضرة في الذهن القارئ، وتكون مشبعة بمشاعر وأحاسيس خاصة، وتشاركها شخصيات أخرى.

إن الرّحلة تقوم على شخص البطل وهو الرحالة، قد يكون أديبا أو عالما أو فقيها أو إماما، «**لا تبقى الشخصية تابعة للحدث أو منفعلة وإنما تصبح جزءا مكونا وضروريا لتلاحم السرد، ويؤكد على ضرورة الحفاظ على وجود البطل داخل النص وإحلاله المكان الملائم له**»[2].

من خلال هذا نستطيع القول بأن الرحالة، الذي ينقل الأحداث، ويعيش أحوالها، ويواجه مصاعبها هو الذي يعد بطلا لأنه يصنع بطولته بنفسه.

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 263.

[2] – حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص 209.

1- الشخصية المركزية أو الفعالة:

اعتمد أبو القاسم سعد الله، في مطلع مقدمته على جملة من الأساليب والوسائل المتنوعة كالسرد، الذي يعد من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب، وبخاصة الرحالة في نقل الأحداث والوقائع والأقوال والأفعال كما الوصف، «**الشخصية المركزية يتوقف عليها فهم التجربة المطروحة ويعتمد على هذه الشخصية في فهم العمل الأدبي**»[1]، ومن هنا تتجلّى لنا صفات الشخصية. وخصائصها المعنوية أو الفكرية التي تظهر في النصوص الرّحلية.

الشخوص المركزية لأبي القاسم سعد الله تظهر في رحلاته شخصية باحثة ومثقفة، ذلك من خلال زياراته المتكررة لمكتبات المغرب، ورؤيته للباحثين أمثال المؤرخ المصري "**عبد الله عنان**" حيث يقول في ذلك:«... **توجهت إلى الخزانة العلمية (المكتبة الوطنية) بحثا عن المخطوطات التي جئت من أجلها... كنت حريصا أثناء إقامتي بالمغرب على توفير كل وقتي للبحث الذي جئت من أجله**»[2]، تبدو شخصية الرحالة شخصية باحثة ومهتمة في المكتبة العلمية بالمخطوطات والتفتيش عليها وهذا ما يؤكده من خلال قوله:«**ومنذ ذلك اليوم بدأت أطلب المخطوطات الجزائرية التي وجدت منها هناك ثروة لا تقدر بثمن، وكنت أعرف أسماء بعض هذه المخطوطات من قبل كما أعرف أرقامها في الخزانة، ولكن بعضها قد اكتشفته بعد ممارسة للبطاقات والتعرف على ما تحتويه المكتبة من ذخائر ونوادر**»[3]، كما كان أبو القاسم يغتنم الفرص من أجل الاطلاع على مكتبات المدينة التي ارتحل إليها.

«**اغتنمت فرصة من الوقت، وذهبت رفقة بعض الأعضاء إلى مكتبة جامعة الرياض، والمكتبة الحالية من أحدث طراز... وتضم قسمين أحدهما للمطبوعات والثاني المخطوطات، وكنت أرغب في زيارة الثاني بالدرجة الأولى**»[4]، كما قام بزيارة كلية الآداب وتجول «**في أقسامها وكانت الكلية، أيام**

---

[1] – محمد بوعزة: تحليل الخطاب السردي تقنيات ومفاهيم، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 2010، ص 39.

[2] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 209.

[3] – المصدر نفسه، ص 209.

[4] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 246.

تواجدنا خلية نحل بالعاملين في الندوة لأن سحب البحوث يتم هناك، ورئاسة الندوة نفسها هناك أيضا»[1]، كما يلاحظ القارئ أن لرحلات سعد الله شخوص لها دراية بالكتب القيمة «... **ودخلت أتصفح بعض الكتب فوجدت نسخة مجلدة سليمة من كتاب (تحفة الزائر) للأمير باشا في طبعته الأولى 1903م»**[2]، وهذا ما ظهر كذلك من خلال رحلته المتكررة بلقاء الأساتذة والباحثين في المكتبات سواء في المغرب أو الجزيرة العربية، أو في رحلته لخنقة سيدي ناجي، مثل الكتاني:«... **وقد أهداني لهذه الناسجة بعض أعماله الأخيرة منها:**

1- أبو عبد الله بن المناصف، المجتهد المغربي، فصلة من مجلة (الباحث)، عدد 2، 1972م، ص 1- 72.

2- العثور على الورقات الأخيرة من كتاب البيان المغرب لابن عذاري المراكشي، فصلة من مجلة (تطوان)، عدد 1965، 10، ص 237- 244.

3- سلفية الإمام مالك، دراسة في 39 صفحة، (دون ذكر مكان طبعها ولا تاريخ).

4- بمناسبة مرور عشرين سنة على تأسيس جمعية العلماء، دراسة في 8 صفات على الآلة الراقنة نشرها في جريدة (العلم) المغربية.

5-صورة تذكارية بتاريخ 1955م بمدينة الجزائر»[3].

وخلال انعقاد الندوة العالمية بالجزيرة العربية، حاول سعد الله أن يتعرف على الجيل القديم، «**فقد سبق لي أن راسلت الأستاذ الشيخ حمد الجاسر الذي سيمونه بحق علامة الجزيرة العربية، والذي ألف وحقق أكثر من كتاب حول تاريخ وأدب وأنساب وجغرافية ولغة الجزيرة العربية»**[4]، يتجلّى هذا من خلال احتكاكه بالأستاذ وتطلعه على مؤلفاته ومعارفه.

[1] - أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 246.

[2] - المصدر نفسه، ص ن.

[3] - أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 214.

[4] - المصدر نفسه، ص 210.

وفي زيارته لخنقة سيدي ناجي، نظم له الإخوان زيارة:«... **لدار الشيخ أحمد زروق بلمكي الذي هو على ما قيل لي من أبرز علماء الخنقة الأحياء**»[1]، نلاحظ كذلك أن الشخصية الرحالة، متدينة ومتمسكة بالإسلام والعروبة، ولديها روح القومية، ونجد كذلك في زيارته للأماكن المقدسة، والحديث عن الفكر الإسلامي، حيث يقول:«... **وفي جامع محمد الخامس الملحق بضريح طالب شيخ، يقرأ القرآن بصوت عال... إنها ذكرى خالدة، وصورة رائعة وموقف يدعو إلى التأمل... تذكرت رجال الفتح ورجال السلطة الذين خلفوهم، تذكرت الماضي والفتح فاغرورقت عيناي وصمت في وَجُومُ**»[2].

ونجد من خلال رحلته إلى الجزيرة العربية أنه يتمسك بالدين أكثر وأعمق والتي كانت كما يقول:«**استعداد روحيا مهما كان غرضك المادي من السفر، سيما إذا كان سفرك إليها لأول مرة، كما كان الحال بالنسبة لي ذلك أنه طالما راودني الخاطر للسفر إليها استجابة لنداء روحي داخلي...**»[3].

إذا يمكننا القول بأن شخصية سعد الله شخصية دينية، فهي شخصية متعايشة مع الأماكن المقدسة (مساجد، أولياء...)، وهذا يتضح بأن الرّحلة ذات طابع ديني.

أمّا في رحلته إلى خنقة فغلب عليها الطابع الاستكشافي، قد وصف فيها بعض المراكز الدينية والعلمية في القديم هي:

1-الجامع الكبير المعروف أيضا بجامع سيدي مبارك الموجود في ضريحه في ملحق بالجامع.

2-مسجد السوق الذي تقام فيه الصلوات الخمس.

3-مسجد زاوية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي ناشر الطريقة الرحمانية في القرن الثالث (19م).

4-مسجد كزردة (اسم إحدى القبائل القديمة الذي اندثر الآن.

5-مسجد سدراته (اسم قبيلة أيضا) وقد بني قبل دخول الفرنسيين[4].

---

[1] - أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 259.

[2] - أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 227.

[3] - أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 235.

[4] - أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 259- 260.

نلاحظ كذلك أن شخصية الرحالة شخصية اجتماعية تسرد وتصف أحوال الناس، سواء في المغرب أو في الجزيرة العربية حيث نلاحظ من خلال قوله:« **ومررنا بمكانات عتيقة يسمونها (التربيعة) حيث كان يجلس المغاربة كما في العهود السالفة يشربون القهوة أو الشاي، ويلعبون الورق... ويلاحظ المرء وفرة البضائع وتنوعها ورخصها في المغرب، كما يلاحظ رحابة صدور الباعة وتأديبهم مع المشترين**»[1].

برزت شخصية سعد الله من خلال مقارنته في المستوى الاجتماعي بين المدينة العتيقة والرباط «... **دخلت المدينة العتيقة فلاحظت فرقا واضحا بينهما وبين مدينة الرباط في المستوى المعيشي، وتجولت في سوقها الضيق المليء بالبضائع المتنوعة**»[2].

ظهرت شخصية سعد الله من خلال اطلاعه عن المخطوطات فتحدث عن التعريب في المغرب، حيث أنهم يستعملون ويتكلمون اللغة الأجنبية في الشارع وهذا من خلال قوله:« **أن صمام الأمان لهذا الاتجاه نحو التعريب يكمن في غير المثقفين على لغة وطنهم، وتحركهم عندما تقتضي الضرورة صفا واحدا**»[3]، وهذا يدل على عرقلة وتحطيم التعريب ومواجهة تجربته.

أعجب الرحالة بالمناظر الخلابة وجمال الطبيعة في أثناء سيره في الطريق حيث أعجب بغروب الشمس وفي ذلك يقول:«**كانت الشمس قد غربت ولم يبق في الأفق إلا الشفق، وطلع من الشرق القمر الذي أخذ يكبر، وظهرت النجوم في السماء والمصابيح في الأرض**»[4].

2- الشخصيات المساعدة للرحالة:

هي شخصية تساعد في نمو الحدث القصصي وبلورة معاناة الإسهام في تصوير الحدث ونلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية، وفي بعض الأحيان تقوم بأدوار مصيرية في حياة الشخصية المركزية، «**ولهذه الشخصية أدوار محدودة إذا ما قورنت بأدوار الشخصيات الرئيسية وقد تكون صديق**

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 215.
[2] – المصدر نفسه، ص 229.
[3] – المصدر نفسه، ص 231.
[4] – المصدر نفسه، ص 226.

الشخصية الرئيسية وهي تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل»[1]، بمعنى أن السرد لا يخلو دائما من الشخصيات الثانوية كعناصر مساهمة في عملية السرد في الرّحلة كعمل أدبي.

اعتمد سعد الله على تعيين شخصياته،، وذلك بتقديم خصائصها الفكرية وتعيين وظائفها وأسمائها، عن طريق السرد والوصف ونذكر من أبرز الشخصيات "**الدكتور عبد الكريم**" الذي ساعد سعد الله في أثناء رحلته وإقامته بالمغرب، حيث كانت شخصية عبد الكريم شخصية المرشد الذي يعتمد عليه الرحالة في أثناء تنقله إلى أماكن المغرب حيث يقول سعد الله:«... **لم يبخل علي الدكتور كريم بوقته، فقد تجول بي في حي السويقة بالخضر...**»[2].

كما ساعده كريم كذلك في الاطلاع على المخطوطات الموجودة في المكتبات المغربية، ويمكن توضيح ذلك من خلال قوله:«... **لكن خدماته لم تنته عند ذلك الحد، ففي صباح الغد حدثني مولاي الطاهر في المكتبة بأن الدكتور كريم قد هتف له من الوزارة وأوصاه بي خيرا**»[3].

نجد كذلك شخصية "**عباس الجراري**" الذي عرفه على ثقافة المغرب حيث يقول سعد الله:«... **أتاح لي الدكتور الجراري التعرف على نواحي كثيرة من المغرب الثقافي والاجتماعي بل أنه بكرمه وعلمه سهل مهمتي ووفر علي كثيرا من الأتعاب**»[4]، ساعده كذلك من خلال اطلاعه على المخطوطات.

نجد كذلك شخصية البشير سعد الله والذي مكث عنده 3 أيام أثناء رحلته إلى مكة واستقبله استقبالا جيدا حيث يقول:«**والثلاثة الأخرى عند أخي البشير سعد الله المهاجر أكثر من ربع قرن، والذي لم أره طول هذه المدة حتى أنه عندما رآني لم يكد يعرفني**»[5].

---

[1] – شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، الجزائر، ط الأولى، 2009، ص 132.

[2] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 215.

[3] – المصدر نفسه، ص ن.

[4] – المصدر نفسه، ص 218.

[5] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 251.

وفي رحلته إلى خنقة سيدي ناجي تعرف الرحالة على ثلاث شخصيات حيث قال:«**الأستاذ علي باشا، وهو مدير بمتوسطة مختلطة في بسكرة والمنظم لهذه الزيارة، والأستاذ ميموني الغسيري، والشيخ الأخضر الحنفي**»[1]، فهذه الشخصيات اعتمد عليها سعد الله وقاموا بإعانته في أثناء رحلته إلى خنقة سيدي ناجي.

3- الشخصيات الثانوية:

اعتمد الرحالة سعد الله في رحلته على شخصيات ثانوية، واعتبرها مساعدة له في أثناء القيام برحلاته، ونجد من بين هذه الشخصيات شخصية "**محمد المنوني**" الذي لديه خبرة بالمخطوطات فاستعان به سعد الله في رحالته كي يستفيد منه ومن خبرته حيث نجده يقول: «**لم أتعرف على الأستاذ المنوي إلا في اليوم الأخير لي في الخزانة العلمية حيث جاء إليها في زيارة خاطفة... ولو طالت مذاكرتي للأستاذ المنوني لاستفدت منه معلومات قيمة فيما جئت من أجله**»[2].

كذلك نجد العديد من الشخصيات التي ساعدت الرحالة في رّحلاته الثلاثة أثناء بحثه، وتطلعه على الأماكن وتواجده في المكتبة بالمغرب أو في الندوة العالمية التي أقيمت في الرياض أو أثناء زيارته لخنقة سيدي ناجي ومن بين هذه الشخصيات: الأستاذ محمد داود، مدير العلوي نائب المدير، محمد الروادني حيث قال: «**وقد رحبوا بي آخر ترحيب، وفتحوا لي أبواب المكتبة وأمروا العمال بوضع جميع الفهارس تحت تصرفي**»[3].

أثناء رحلته إلى الجزيرة العربية، استعان بالجمركي سيء الظن، الذي قام بتفتيشه قال:«... **سألني الجمركي إلى أين أنت متوجه؟ فقلت في نشوة وغيظة: إلى جدة إن شاء الله**»[4].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 257.

[2] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 211.

[3] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 220.

[4] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 237.

نجده كذلك استعان بشخصيات نسائية كالآنسة "**نادية داودي**" وحرم الأستاذ الجراري حيث قال:«**كانت جلسة ممتعة تناولنا الطعام الشهي الذي تفننت في إعداده حرم الدكتور الجراري في محاسن الطبق المغربي**»[1].

أعطت هذه الشخصيات صورة صادقة للرحالة، ورحبت به أحسن الترحيب، وساعدته في بحثه، وأعطت له اهتماما كبيرا.

ثالثا– البنية الزمكانية في رحلات أبي القاسم سعد الله:

1– بنية الزمن:

يمثل الزمن عنصرا أساسًا من العناصر التي يقوم عليها أدب الرّحلة، فإن كان الأدب يعد فنا زمنيا، فإن الرّحلة هي أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن، وعلى اعتبار أن «**الزمن يمثل محور دراسات أدبية وعمودها الفقري الذي يشد أجزائها كما هو محور الحياة ونسيجها، الرواية فن الحياة، فالأدب مثل الموسيقى فن زماني لأن الزمان هو وسيطها كما هو وسيط الحياة**»[2].

ومن خلال هذا المفهوم يمكننا القول بأنه لا يمكن تصور أي ملفوظ، شفوي أو مكتوب دون أن يدخل الزمن كعنصر في ذلك ليسطو على باقي العناصر.

«**يعدّ الزمن في العمل الإبداعي، نوعا من تصالح الإنسان مع ذاته، إذا كان فعلا أن الإنسان هو الزمن، إذ في هذه الحالة تقترب من الزمن أكثر، وبهذا يتحول الزمن في العملية الإبداعية إلى أداة طبيعية تسهم في جماليات النص الأدبي، لتسمو به إلى مرتبة الخلود**»[3]، ومن خلال هذا نصل إلى أن الزمن عبارة عن فترة تنقلنا من حدث إلى آخر.

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 250.

[2] – مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص 23.

[3] – رابح الأطرش: مفهوم الزمن في الفكر والأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة فرحات عباس، سطيف، العدد مارس 2006، ص 2.

من المعقول أن نجد شخصية تتحرك أو تعيش خارج الزمن، فهذا الأخير يحيط بنا وبأعمالنا:«**يقتفي آثارنا حينما وضعنا الخطى، بل حينما استقرت بنا النوى، بل حينما نكون وتحت أي شكل، وغير أي حال نلبسها فالزمن كأنه هو وجودنا نفسه**»[1].

هذا يعني أنها حقيقة ثابتة ولازمة، بين الزمن والسرد فالسرد له أهمية، والزمن له أهمية إذن العلاقة وطيدة بين الأحداث وزمن السرد وطبيعته.

أ- زمن الرّحلة:

من المعلوم أن زمن الرّحلة مرتبط ومتكون من بداية الانطلاق التي ينطلق منها الرحالة، حيث يشتمل على الكثير من الصفات والتفاصيل، التي تتعلق بالسفر وتحضيراته، فنجده يطغى على كل أحداث الرّحلة، وينتهي زمن الرّحلة بالحدث الأخير وهو الوصول إلى المكان الأول المنطلق منه نحو الأمكنة الأخرى ولقاء الأهل والأحباب، فنجد أن معظم الرّحلات الجزائرية تمثل النموذج الأكمل المعين بدقة لزمن الرّحلة المؤلفة من البداية والوسط والنهاية (الانطلاق، المسير، الوصول).

ب- زمن الانطلاق:

يعد البداية في أي رحلة، والانطلاق هو افتتاحية السرد، وذلك من خلال إجابة القارئ عن العديد من التساؤلات، التي تحدد هوية الرّحلة أسبابها، ودوافعها... وغيرها، يحدد الرحالة في بداية رحلته إلى المغرب أسباب الحدث ودوافعه، بذكر المكان المنطلق منه، والزمن المرتبط بالانطلاق وذلك بتعيين الشهر واليوم والسنة.

يظهر الانطلاق في رحلة سعد الله، وما سرده خاصة أثناء وصوله وتواجده بالمطار حيث يقول:«**زرت المغرب لأول مرة خلال الصيف الماضي من 29 يوليو إلى أغسطس 1973 ... وقد استغرقت الرّحلة على طائرة اليوينغ التونسية بين مطار الدار البيضاء بالجزائر، ومطار النواصر بالمغرب ساعة وربعا...**

[1] – عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، عالم الفرقة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د،ط)، 1998، ص 199.

ولم تستغرق الإجراءات بين مطار النواصر سوى بضع دقائق، وعندما اقتربت من مفتش الحقائب سألني من أين، فقلت من الجزائر فقال بود: أهلا وسهلا تفضل مشيرا بيده إلى الباب»[1].

عبر سعد الله عن الأفكار والتأملات التي أخذها، منذ بداية الرّحلة والتي تتجلّى في أحاسيس ذاتية، تتردد بين ماض وحاضر ومستقبل، وسرعة سرد الأحداث توحي إلى التسهيلات التي تلقاها الرحالة في المطار، نلاحظ إن الرحالة لم يغفل وينسى ذكر الوقت الذي استغرقه، حيث قدرها بساعة وربعا.

نجده كذلك في رحلته إلى الجزيرة العربية، التي تضارب فيها الأشواق وآلام الفراق أكثر تأثيرا، لذلك نجده يهتم بهذه الرّحلة ويحرص على التاريخ واليوم والشهر والسنة حيث يقول:«**21 أبريل صباحا سنة 1977 ... وصلنا مطار جدة حوالي الحادية عشر والربع مساء بالتوقيت المحلي، وهو وقت متأخر بالنسبة للمطار**»[2]، حيث نجده كذلك عرف الطريق لتشويق القارئ والمتلقي حيث قال:«**والطائرة التي نقلتنا من مطار الجزائر سعودية كانت قادمة من المغرب، وقد توقفت بنا في مطار تونس ومطار طرابلس ومنه مباشرة إلى مطار جدة**»[3].

في رحلته إلى خنقة سيدي ناجي حدد فيها هي الأخرى تاريخها وساعة الانطلاق حيث قال:«**ففي يوم 8 فبراير 1980 توجهت بكرة (الساعة السادسة صباحا)... إلى خنقة سيدي ناجي انطلاقا من بسكرة**»[4]، وذكر كذلك المسافة التي قطعها بين نقطة الانطلاق والوصول «**وكانت المسافة بين النقطتين حوالي 95 كلم في الطريق مررنا بإزاء المدينة سيدي عقبة وزريبة الوادي وبعض القرى الأخرى، ولم يبق بيننا وبين ليانة سوى بضع كلم وحين اقتربنا في الخنقة كاد جيل ششار سيد الطريق في وجوهنا حتى لقد تساءلت أين المدينة وسط هذا المثلث الصخري الهائل**»[5].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 205، 206.

[2] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص237، 238.

[3] – المصدر نفسه، ص ن.

[4] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 257.

[5] – المصدر نفسه، ص ن.

ج- زمن المسير:

هو المرحلة الثانية المكوّنة للرّحلة، هو أكثر الأقسام استغراقا للزمن لأنه يسرد كثيرًا حركة السير في أثناء رحلته والحافلة بالمغامرات، وذلك من أجل التطلع للوصول ولتحقيق الأهداف.

نجد رحلة سعد الله إلى المغرب تمثلت بتحديد الزمن فيها، حيث دامت رحلته فيها عشرون يومًا، قسمها إلى مراحل:

- **المرحلة الأوّلى:** مرحلة الإقطاع من الجزائر إلى (مطار النواصر) بالدار البيضاء.
- **المرحلة الثانية:** فترة تواجد الرحالة بالرباط.
- **المرحلة الثالثة:** مدة زياراته للدار البيضاء وبعض المدن المغربية.

سرد سعد الله أحداث سيره من الدار البيضاء في اتجاه الرباط يقول:«... **وكانت الساعة تشير إلى الثامنة ونصف، وعندما تحركت السيارة من الدار البيضاء في اتجاه الرباط، وقد سقط الليل، وبدأت أنوار المدينة تتلألأ، ... وقد قطعنا المسافة في حوالي ساعة ونصف**»[1]، من خلال هذا النص اعتنى الرحالة، بالتواريخ والأحداث والمدة المستغرقة أثناء تنقله.

أعجب الرحالة عند زيارته إلى بعض الأماكن والتجول فيها بشوارعها وبناياتها وجوها حيث قال:«**وقد اعتدت أن أتجول في المدينة مساءًا بعد عناء النهار جليا لراحة عيني، ... وفي إحدى الجولات عرج بي الجراري بسيارته على الأحياء الهامة من مدينة الرباط... وفي أحد الأيام خرجت من الأخ شحلان نتجول**»[2]، سرد الرحالة الأماكن التي تجول فيها والأحياء دون أن يذكر الزمن والمدة والأشهر وغيرها...

[1] - أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 206، 207.

[2] - المصدر نفسه، ص 214-219-229.

نجد أن الرحالة اعتاد أن يهتم بالحدث والظاهرة دون العناية بالزمن في قوله:«**وسرنا في طريق معبد حتى وصلنا (الوادية) وساحتها الكبيرة، ودخلنا من باب في هذا السور فوجدنا أنفسنا داخل حديقة غناء فيها من كل لون زهرة** »[1].

وفي رحلته إلى الجزيرة العربية، بدأ سفر إليها قائلا:«**يوم 21 أبريل صباحًا، سنة 1977م ... وصلنا مطار جدة حوالي الحادية عشر والربع مساءًا بالتوقيت المحلي، وهو وقت متأخر بالنسبة للمطار**»[2]، من خلال نصه نجد أنه سرد اليوم والوقت والشهر والسنة.

وقال كذلك في أثناء زيارته إلى "**الرياض**" عاصمة السعودية:«**حوالي الساعة السادسة توجهت بنا الطائرة، العمومية في أول رحلة صباحية لها إلى الرياض، وقد استغرقت حوالي ساعة**»[3]، كان الرحالة حريصا دائما على ذكر زمن مسيره في كل رحلاته وجولاته، كذلك نفس الشيء فعله عندما سافر إلى خنقة سيدي ناجي حيث اهتم فيها على الساعة والوقت واليوم والشهر:«**يوم 8 فبراير 1980م توجهت بكرة (الساعة السادسة)... إلى خنقة سيدي ناجي انطلاقا من بسكرة**»[4]، اعتمد أبو قاسم سعد الله على ذكر الزمن والساعة في سرده لرحلاته فكان بذلك دقيقا في نقل مشاهداته ومحطات سفره.

د- زمن الوصول:

لم يتحدث سعد الله من خلال رحلاته، سواء تلك التي كانت في المغرب أو الجزيرة العربية أو خنقة سيدي ناجي، عن أحداث الوصول بدقة، بينما أشار إليها فقط حيث نجده في رحلته إلى المغرب يقول:«**وكانت الساعة تشير إلى السادسة والربع عندما أعلنت المضيفة التونسية بصوت رخيم أن الطائرة ستبدأ بالهبوط بمطار النواصر**»[5]، ويكتفي الرحالة بعدها بوصف المعالم الأثرية والأماكن.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 228.

[2] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 237، 238.

[3] – المصدر نفسه، ص 239.

[4] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 257.

[5] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 206.

وفي رحلته إلى الجزيرة العربية هنا يذكر زمن وصوله إلى (جدة) حيث قال:«**وصلنا مطار جدة حوالي الحادية عشر والربع مساء بالتوقيت المحلي، وهو وقت متأخر بالنسبة للمطار** »[1]، وهذا يعني إشارة لوصول الرحالة إلى مدينة جدة.

نجد كذلك في رحلته إلى خنقة سيدي ناجي، لا يذكر زمن الوصول ولا يشير إليه، بل لا يعطي له اهتماما كبيرا، بينما أشار إلى زمن الانطلاق فقط فهكذا كانت نهاية رحلة سعد الله إلى خنقة سيدي ناجي حيث أنه توقف مباشرة دون أن يذكر أحداث الوصول إلى هذه البلدة، إذا فالرحالة لا يذكر زمن الوصول، من أجل عدم الابتعاد عن الطبيعة الجمالية التي يتطلبها النص الأدبي.

2- بنية المكان:

يمثل المكان مكوّنا محوريا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين تنطلق منه الأحداث فهو «**المكان الأليف الذي ولدنا فيه ومارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكّل فيه خيالنا، والمكانية في الأدب هي الصورة الفنّية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة** »[2]، ومنه فللمكان أهمية كبيرة في الحياة التي نعيشها، فلا حياة من دون أماكن نتواجد بها فله علاقة قوية كما نعلم مع الشخصية والشخصيات التي تتحرك داخله وتتفاعل معه ومع من فيه فالإنسان قادر على أن يحرك المكان ويشكله بخصوصياته، فقد يجعله مكانا إيجابيا طاهرا فتطمئن له القلوب وتتشوق إليه النفوس، وقد يجعله مكانا سلبيا مشوهًا، بذلك «**فضاء يثير النفوس والاشمئزاز بسبب أخلاق أهله ومن ثم يصبح دالا على الكائن، والكائن دالا عن الفضاء**»[3].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 238.

[2] – غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط3، 1987، ص 6.

[3] – عبد الرحيم مودن: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006، ص 381.

أ- مكان الرّحلة:

ينقسم مكان الرّحلة الذي وظفه الكاتب إلى ثلاثة أقسام: مكان المنطلق، ومكان المعبر، ومكان المقصد وهذه الأماكن تختلف وتتنوع مراحلها بعلاقتها مع الشخصية الرّاحلة.

ب- المنطلق:

يعدّ المنطلق نقطة البداية والنهاية عند الرحالة فهو يتقيّد به ويتجسد هذا التقيد في إفصاح الكاتب عن شوقه وحنينه لوطنه.

نجد الرحالة دائما متمسكا بالمنطلق، ومن هذا يصبح المكان المنطلق مرجعا وسجلًا يلجأ إليه في أثناء المقارنة والتقويم والحكم.

عبّر أبو القاسم سعد الله عن منطلقه، وهو مطار الجزائر الدولي الذي كان نقطة بدايته والذي ساد فيه نوع من سوء التفاهم والمبالغة حيث قاموا بتفتيش حقيبة الرحالة والمعاملة السيئة لشخصيات علمية من الوطن العربي، وهذا ما جعل النص يحمل شحنة سلبية ونقد لمطار الجزائر والدعوة إلى التغيير في الأساليب وحسن معاملة الآخرين.

وتجدد ذكره للمنطلق في رحلته، هذه المرة في وطنه الجزائر بصفة عامة، فقال:«**عندما صعدت الطائرة في سماء جدة، وحومت فوق الميناء، وسارت محاذية لضفاف البحر الأحمر كانت خواطري موزعة، فالحنين إلى مهبط الوحي ومنبت العربية يشدني إليه، والشوق إلى مسقط الرأس ومراتع الأهل والأخلان تناديني بألف صوت... وتذكرت، والطائرة تفارق أرض الجزيرة العربية في اتجاه الغرب، مقالة أحد السعوديين عندما ذكرني بما كان الخليفة عمر بن الخطاب يقوله للمسلمين بعد أداء فريضة الحج، وهو: يا أهل الشام شاملكم، ويا أهل المغرب مغربكم**»[1].

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 255.

يحدث هذا غالبا في نهاية الرّحلة، بحيث لا نجده في البداية حتى لا يشد الأنظار نحو مكان المقصد، إذ نلاحظ أن مكانة الوطن تغلب في العودة، حيث كان الرحالة من جهة يتمنى لو يطيل به الزمن ليظل بالمكان مدة أطول وبين شوقه لبلده وأهله وهذا ما برع فيه سعد الله.

أما في رحلته إلى الجزيرة العربية فنجده يذكر بعض التفاصيل عن مكان الانطلاق، الذي يُعَدُّ الأساس في الرّحلة دون أن يصفه أو يحدد معالمه حيث يقول:«**والطائرة التي أقلتنا من مطار الجزائر سعودية كانت قادمة من المغرب** »[1]، فكلامه يحيل إلى المكان الذي انطلق منه سعد الله وهو البلد الذي ينتمي إليه الجزائر.

ومن الطبيعي أن العلاقة بين الرحالة والمنطلق تكون حميمية فالمكان يلازم الرحالة يبدأ منه وينتهي إليه «**توجهت بُكرة (الساعة السادسة صباحا) ... إلى خنقة سيدي ناجي انطلاقا من بسكرة** »[2]، إذا لا رحلة دون مكان فغالبا ما تكون نقطه البداية هي نفسها نقطه النهاية.

ج- المعبر:

يمثل مكان العبور الوسيط بين المنطلق والمقصد والفضاء المكاني الذي يربط بين هاتين النقطتين، وهو الأمكنة التي يجتازها الرحالة حتى يصل إلى المقصد، فيه يلتقي الرحالة بالعديد من الشخصيات ويتزود بمعارف ومعلومات وتجارب متنوعة.

على الرّغم من أن رحلة سعد الله إلى السعودية كانت جوية، إلا أن للطائرة محطات حددها الكاتب قائلا:«**والطائرة التي أقلتنا من مطار الجزائر إلى السعودية كانت قادمة من المغرب، وقد توقفت بنا في مطار تونس ومطار طرابلس ومنه مباشرة إلى مطار جدة، وعندما توقفت في مطار تونس واجتمع ركاب العبور، اكتشفت وجود أعضاء الوفد المغربي المتوجه أيضا إلى ندوة الرياض، وكل أعضائه معروفون لدي، بعضهم تربطني بهم رابطة المودة والعلم وأكل الخير والملح مثل الدكتور عباس الجراري والدكتور عبد الكريم كريم وبعضهم تربطني بهم معرفة قديمة جمعتنا الكتب والأبحاث مثل الشيخ محمد إبراهيم**

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 238.

[2] – المصدر نفسه، ص 257.

الكتاني والأستاذ محمد المتوفي »[1]، لم تكن هذه المحطات مؤدية لدور العبور فحسب، وإنما بالنسبة للرحالة، نقطة التقاء وفرصة له من أجل الالتقاء بأصدقائه الذين سبق له التعرف عليهم ومقابلتهم، وهذا ما جعل للمعبر الدور الفعال لأنه مكان الالتقاء بالرفقاء.

د- مكان المقصد:

"**وهو الإطار العام الذي تتحقق فيه الرغبات، فيتم اللجوء إليه عن رغبة وشوق (الحج، الزيارة، السياحة)، أو بأمر (السفارة) أو عن ضرورة حاجة (التجارة، العلم)، أو عن اضطرار (الهجرة، النفي)**"[2].

هو المكان الذي يسعى إليه الرحالة ويخطو خطوات صعبة حتى يصل إليه ويتحمل متاعب السفر ومشاقه رغبة في الوصول وتحقيق حلم يختلجه ويود تحقيقه غالبا يتمثل في نقل أحداث عن منطقة ما من أجل التعريف بها أو من أجل أهداف أخرى...، وغالبا ما نجد الإخبار عن مكان المقصد في مقدمة الرّحلة أو في بداية سرد أحداثها، حتى يتسنى للقارئ معرفة وجهة الرحالة، حيث يعلن الرحالة عن طبيعة رحلته إن كانت حجية أم سياحية أم سفرية.

ويتمثل مقصد سعد الله في أثناء رحلته في زيارته المغرب البحث عن المخطوطات لكتابة "تاريخ الجزائر الثقافي"، فنجده قدم العديد من المقاطع يصف فيها الأماكن التي زارها منها: الرباط، الدار البيضاء، وصف الطرقات وبعض المرافق كالمكتبات الخاصة والعامة والأسواق التجارية والبنوك.

وكان مقصد سعد الله الأهم والأساسي من هذه الرّحلة هو البحث عن المخطوطات التي تدعم بحثه فيقول:«**وعندما فتحت المدينة أبوابها على الساعة الثامنة توجهت إلى الخزانة العامة (المكتبة الوطنية) بحثا عن المخطوطات التي جئت من أجلها** »[3]، تبين لنا من خلال قوله بأن رحلته كان هدفها علمي حيث قصد المكتبة من أجل البحث يقول:«**وكانت الخزانة العامة تقع بالقرب من كلية الآداب واللغات لجامعة محمد الخامس،... وإلى جانب قسم المطبوعات يوجد قسم الوثائق (المخطوطات) الذي هو**

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 238.

[2] – شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، رؤية النشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 350.

[3] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 209.

ضالتي، وفي قسم الوثائق قضيت معظم أوقاتي ووجدت كل التسهيلات التي لم أكن أتصورها»[1]، وصف لنا سعد الله مكان تواجد المكتبة الوطنية بكل تفاصيلها وكأننا ننتقل معه في شوارع المغرب لقد تعايشنا اللحظة بكل حذافيرها وحسن المعاملة التي تلقاها هناك مع وفرة كل المعلومات تقريبا التي كان يحتاجها فيقول:«**ومنذ ذلك اليوم بدأت أطلب المخطوطات الجزائرية التي وجدت منها هناك ثروة لا تقدر بثمن، وكنت أعرف أسماء بعض هذه المخطوطات من قبل كما أعرف أرقامها في الخزانة، ولكن بعضها قد اكتشفته بعد ممارسة للبطاقات والتعرف على ما تحتويه المكتبة من ذخائر ونوادر** »[2]، نكتشف من خلال قوله أن اختيار سعد الله للمكتبة كونها مقصدا لم يكن عبثا بل كانت للرحالة معرفة مسبقة بهذا المكان وقد سعى الكاتب إلى ترسيخها بوصفه لها وصفا دقيقا وذلك عن طريق مشاهداته الشخصية.

من خلال رحلته إلى الجزيرة العربية فإن مكان مقصده هو مدينة الرياض وتحديدا السعودية، ليبين بأن الهدف الأساسي منها علمي يقول:«**السفر إلى الجزيرة العربية ليس كالسفر إلى جهة أخرى فإذا كنت في بقية الأسفار تستعد ماديا ... فإنك بالنسبة إلى الجزيرة العربية تستعد قبل كل شيء استعدادا روحيا**»[3]، نظرا لأهمية وقداسة المكان الذي قصده سعد الله وجب الاستعداد الروحي قبل المادي وبخاصة إذا كان السفر إليها أول مرة، كما كان الحال بالنسبة إلى أبي القاسم.

وفي رحلته إلى زيارة خنقة سيدي ناجي يقول:«**في يوم 8 فبراير 1980م توجهت بكرة ... إلى خنقة سيدي ناجي انطلاقا من بسكرة ... كنت أتحين الفرصة لزيارتها وربط حاضرها بماضيها** »[4]، نجده يستهل رحلته بمكان مقصده قبل ذكر مكان انطلاقه، وتقديم مكان توجهه يدل على أهميته عنده.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 209.

[2] – المصدر نفسه، ص 210.

[3] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 235.

[4] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 257.

هـ- المكان التاريخي:

يعد المكان التاريخي الذي يستحضره الرحالة خلال عملية التدوين أساسيا، يقارن من خلاله بين الأزمة الماضية وزمن الرّحلة ويروي أحداث جرت في الزمن الماضي أدتها شخصيات ماضية التي شهدت وقائع وعايشتها، لم يشهدها الرحالة بل يستقيها من ذاكرته أو من مصادر موثوقة ككتب التاريخ أو من شهود العيان الذين يعيشون في البلد المقصود، ويقصد سعد الله هذه الأماكن من أجل التعريف بالأمكنة وبشخوصها، استرجع مثلا أبو القاسم ماضي مدينة الرباط عندما دخل الفرنسيين ساعة إعلان الحماية على المغرب:«**سور الأندلسيين الذي يحيط بالرباط، وحارة اليهود القديمة التي يسمونها (الملّاح) وشارع سيدي فاتح وبعض الفنادق، حيث كان سفراء وقناصلة الدول الأجنبية ينزلون في العهود القديمة**»[1]، وكل هذه أماكن تاريخية لها قيمة في تاريخ مدينة الرباط، من خلالها يهدف الكاتب إلى تزويد القارئ بمعارف بدت له مفيدة، ومكملة لمسألة المكان المشاهد.

والأماكن التاريخية التي استقاها من أفراد مدينة "**مراكش**"، ما رواه له الأخ "**شحلان**" عن المدينة:«**صورها القديم ومكتبتها الكبيرة، وصومعة المكتبة التي تعود إلى عهد الموحدين، وعن القصبة العتيقة، وعن أشهر العائلات في المدينة الحمراء** »[2]، يظهر من خلال ذلك عراقة الأماكن التاريخية، التي كانت تزخر بالآثار في العهود السالفة.

أما وصف سعد الله لرحلته إلى الخنقة فكان جغرافيا تاريخيا، ذلك حين عرض للمقارنة بين ماضي المنطقة وحاضرها وعلاقتها التاريخية بالمناطق المجاورة يقول:«**ونظرت نظرة طائر هنا وهناك فإذا الخنقة خلاف لمدن وقرى القطر الأخرى، فالمباني الجديدة فيها قليلة وتوسعها الجغرافي محدود... لم يبقى فيها إلا عدد من السكان حين اتخذها الفرنسيون نقطة ارتكاز لموقفها الجغرافي** »[3]، فهذه المقارنة تبين لنا التطور الحضاري الذي عرفته الخنقة سواء في المجال العمراني أو في توسعها الجغرافي.

---

[1] - أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 215.

[2] - المصدر نفسه، 226.

[3] - أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 263.

الفصل الثاني

جدلية الأنا والآخر في رحلات أبي القاسم سعد الله.

أوّلا– الأنا

1– إعجاب الأنا بالآخر.

2– الأنا المثقفة.

ثانيا– الآخر

1–الآخر مكانيا وجغرافيا

2–صورة الآخر اجتماعيا

ثالثا– مواقف الأنا اتجاه الآخر

1–موقف الإعجاب

2–رؤية الأنا للآخر حضاريا.

إنّ العلاقة بين طرفين لا تقوم دون وجود اختلافات ونزاعات حتى تتحقق الجدلية، ومن خلال ذلك نستطيع التّعرف على كلّ طرف على حدى، فنجد أنّ الذات مختلفة عن الآخر في شتّى المجالات سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية وغيرها، وإلى جانب ذلك طريقة التفكير فكلما غيّرنا البلد أو حتى المنطقة تغيرت طريقة تفكير سكانها وتنوعت ثقافتهم، واختلفت عاداتهم وتقاليدهم وموروثهم.

قام أبو القاسم سعد الله بالعديد من الرّحلات داخل الوطن وخارجه وكانت كل رحلة لها مقصدها وهدفها، وقد تطرقنا إلى رحلاته التي دونها في كتابه "**تجارب في الأدب والرّحلة**".

ومن خلال تصفحنا لهذه الرّحلات وقراءتنا، توضح لنا جليا حضور أناه من خلال رحلاته ومقارنته مع الآخر.

أوّلا– الأنا:

من خلال دراستنا القبلية نعرف أنّ الأنا تعني ذاتي والإفراد والاستقلال عن الغير، وقد اعتّمد الرّحالة من خلال رحلاته على ضمير المتكلم وحسب ياسين السليماني الأنا هو «**ضمير متكلم قائم بذاته ولذاته ولا ينازعه أو يشاركه في ذاتيته وبصفته آخر فهو مستقل عن غيره، وإن كان منتجا له، وناتجا عن علاقته به**»[1].

فالأنا الذاتية تشعر بوجودها المستمر والمتطور من أجل التغيير والاكتشاف بالاتصال مع العالم الخارجي.

1– إعجاب الأنا بالآخر:

من خلال قراءتنا لرّحلات أبي القاسم سعد الله تّعرفنا على وجهة نظره تجاه الآخر، فكان اعتّرافه واضحا بإعجابه الموجه بالآخر.

ما نقله سعد الله عن رحلته إلى المغرب التي من عنوانها يوحي إلى حضور ذاتيته واستقلاليته، وهذا ما أراد أن يبنيه للقراء من خلال عتبّة الرّحلة.

[1] – أحمد ياسين سليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعوب المعاصرة، دار الزمان، دمشق، ط1، 2009، ص 404.

ظهر إعجابه بالآخر في صورة واضحة «**فخرجت أتجول وحدي في اتجاه جامع السنة...، وكان بصري لا يكاد يقع على الأرض، فقد كان معلقا في اللافتات وأسماء الشوارع والبنايات والأضواء الباهرة ...، ويكاد من لا يعرفني عندئذ أن يقول عني بأن لي مسا من الهوس** »[1] انبهر الرّحالة كثيرا بمناظر المغرب الطبيعية وكذلك المنشّآت الحضارية والعمرانية التي كانت تخطف الأنظار.

«**وكان طقس الرباط أكثر لطفا من جو عاصمة الجزائر الرطب، وتتخلل الأنفاس نسمات منعشة يرسلها بحر الظلمات... يضاف إلى ذلك روائح الطيب المرسلة من الحدائق والبساتين التي تمتلئ بها مدينة الرباط**»[2].

بعثت هذه المناظر تيارا جذب الأنا تجاه الآخر بجمال مناظرها المتنوعة وطقسها المنعشّ الذي كان ألطف من جو العاصمة الرطب، فسحرت أجواء المغرب الرحالة.

وفي أثناء وجهته إلى الخزانة العامة التي كانت الهدّف من رحلته «**بحثت عن المخطوطات التي جئت من أجلها، وقد وجدتني خارج سور المدينة القديم في حي غارق في الأشجار المعشوبة المخضرة، وتطل منها المنازل البيضاء الناصعة كأنها كثبان الثلج في غابة من غابات الشمال** » وصف الرّحالة مكان تواجد قسم الوثائق (المخطوطات)، وهو مستمتع بالمناظر الخلابة التي تشرح الصدر وتنير الطريق، وبالإضافة إلى ميول الأنا إلى الآخر من خلال هذا الإعجاب المتنوع بين ما هو عمراني وجغرافي، يتعدى ذلك الإعجاب بالآخر من خلال المعرفة العلمية وما يزخر به من معلومات وثروات معرفية وثقافية، فنجد سعد الله ينقل لنا ما جرى في أثناء زيارته إلى الخزانة العامة «**ومند ذلك اليوم بدأت أطلب المخطوطات الجزائرية التي وجدت منها هناك ثروة لا تقدر بثمن** »[3].

من قوله يبدو لنا الرّحالة معجب شدّيد الإعجاب بخزانة الآخر التي كانت تحتفظ بالمخطوطات الجزائرية النادرة التي وجدها هناك حاضرة فاطلع عليها بكل سهولة. يبدو انطباق هذا الميول نحو الآخر بفضل المثقفين

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 208.

[2] – المصدر نفسه، ص ن.

[3] – المصدر نفسه، ص 209.

والشيوخ الذين كانوا يحملون طاقة إيجابية، ويتمتعون بنشاط عقلي قوي «**وعندما رأيت ما عليه هذا الشيخ من الحيوية والنشاط والإنتاج شّيوخ الجزائر وهم من الكسل العقلي وجمود القريحة وخمول الذكر، ما يفجر قلب السخر**»[1].

أقام أبو القاسم من خلال هذا القول مقارنة بين شيّوخ الجزائر الدين يغلب عليهم الخمول والكسل والعقول التي لا تفكر وبين شيوخ المغرب الذين يمتازون بالنشاط والحيوّية وحرية العقول والفكر، وهذا ما جعل سعد الله يفضل الآخر عن الأنا وهذه النظرة تتكرر عند زيارته للجزيرة العربية يقول:«**رغم أن الدعوات قد وجهت إلى عدد آخر من الجزائريين فإنهم لم يشتركوا لأسباب لا نعلمها، و لكن يبدو أن أهم سبب كان وراء ذلك هو الكسل العقلي الذي يعاني منه الجزائري** »[2]. تحسّر الرّحالة على علماء وأبناء الجزائر وكيف كانوا يفكرون وتخلفهم الذي أخرهم مقارنة مع البلدان الأخرى.

« **والمواصلات بين المدينتين متوفرة وسهلة والطرق معبدة على أحدث طراز، وفي الطريق إليها مررنا بعدة قصور ملكية وأميرية حول مدينة الرياض** »[3]، أبهر الرّحالة بعمرانها، يقول:«**مدنية الرياض فإذا هي عاصمة كبيرة تمتد على مساحات شاسعة وتتخللها الشوارع الواسعة الطويلة والأشجار الباسقة**»[4]، وصف الرحالة المدينة، قد تغلب عليه شعور الإعجاب بها، فهي جزء من تراث الجزيرة العربية بخاصة والمسلمين بعامة، فمن خلال مناظرها الساحرة تنسيك أنك في الصحراء وتحس وكأنّك في أكبر عواصم العالم الحديثة، واتسم إعجابه أيضا بعلماء السعودية من مختلف الأجّيال القديم والجدّيد «**الأستاذ الشيخ محمد الجاسر الذي يسمونه بحق علامة الجزيرة العربية والذي ألف وحقق أكثر من كتاب حول تاريخ وأدب وأنساب**

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 213.

[2] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 241.

[3] – المصدر نفسه، ص 245.

[4] – المصدر نفسه، ص ن.

وجغرافية ولغة العربية، وهو صاحب مجلة (العرب) الشهيرة وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة»[1]. إذا عرفنا أبو القاسم سعد الله لعلامة الجزيرة العربية محمد الجاسر وهذا يدل على النزوع إلى الآخر وميوله له.

«**ولم أكن أصدق أنني أسير على تراب المدينة وأنظر إلى حبالها ونخيلها وعمرانها**»[2]، كان متأثرا كثيرا بالجزيرة العربية حيث غمره الإحساس بالفرح والسرور يكاد لا يصدق بأنه متواجد في المدينة حيث أعجب بمناظرها الخلابة التي تبهر الناظرين، وبقداسة مكانتها الدينية في نفوس المسلمين، وقد عبر عن الاستعداد الرّوحي لقصد بلاد المشاعر الإسلامية ونقل انطباعاته ومشاهداته عن الآخر الذي كان معجبا به.

هكذا كانت رحلات سعد الله إلى خارج التراب الوطني ونظرته إلى الآخر، وأول رحلة له داخلية كانت إلى خنقة سيدي ناجي، قرأ عنها في كتب الرّحالة لكن لم يزرها، ما إن زارها انبّهر بها فقد امتازّت بطابعها السياحي وأماكنها الاستطلاعية يقول:«**توقفنا عند وادي العرب العظيم الذي تحوط به الدور من جهة والنخيل وأشجار الفاكهة والخضر من جهة أخرى، ونظرت نظرة طائر هنا وهناك فإذا الخنقة خلاف لمدن وقرى القطر الأخرى**»[3]، كان متعجب فيها ومندهش في ما تزخر به، ونظرا لموقعها الجغرافي المهم الذي جعل الاحتلال الفرنسي يطمع فيه ويتخذه نقطة ارتكازه، وإلى جانب مكانتها الجغرافية تحوي أيضا على أماكن أثرية وحضارية وتتمتع بثقافتها الفكرية، «**وكانت الزاوية الناصرية، بجامعها الكبير ومدرستها، هي التي أشعت على الناحية بالعلم والمعرفة**»[4] كانت تحتضن العلماء حيث تتلمذ فيها الشيخ المرحوم أحمد السرحاني والشيخ المرحوم العربي التبسي هذا ما دل على مكانتها. «**وكذلك كان الجامع الكبير مأثرة جليلة فهو لم يكن فقط لأداء الصلوات بل كان مركزا لنشر العلم** »[5]، لقد أعجب أبو القاسم بالآخر لأن العلم عندهم كان مقدّسا.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 247.

[2] – المصدر نفسه، ص 249.

[3] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 257.

[4] – المصدر نفسه، ص 260.

[5] – المصدر نفسه، ص 261.

2- الأنا المثقفة:

تعود الأنا المثقفة إلى الرّحالة أبو القاسم سعد الله، الذي يمارس نشاطا نظريا أو فكريا أو علميا، وهذا يعني أنّ الرّحالة بلغ الشّهرة بفضل أعماله في مجال الفكر ويشّغل تلك الشّهرة التدخل في أمور خارج مجال تخصصه، ممّا يكون همه الوحيد أن يحدّد ويحلل ويعمل، مما جعلت من الرّحالة شخصية شغوفة بحب المطالعة، وطلب العلم وهذا ما يؤكده الرّحالة في قوله أثناء رحلته إلى المغرب «**ولا أكتم نفسي أنّ الرّحلة كانت ذات فائدة عظيمة لي، إذ لم أجمع فقط خلالها مادة جديدة نادرة لكتابي عن تاريخ الجزائر التفافي، ولكنني تعرفت أيضا على عدد من رجالات المغرب الحديث، شيبا وشبابا، يمينا ويسارا**»[1].

كان الرّحالة كذلك يجالس المثقفين، ويحتك بهم كي يستفيد من علمهم ومن خبراتهم، وهذا يؤكده من خلال حديثه عن الأستاذ الكتاني رئيس قسم المخطوطات بالخزانة العامة حيث يقول:«**ومشينا معا حتى وسط البلاد، فكان يتحدث وأنا أستمع ولم أقاطعه إلا نادرا، وكان كثير الاطلاع على حركة حزب الشعب والحركة الإصلاحية في الجزائر ورجالها على العلاقة بينها وبين رجال الإصلاح والسياسة في المغرب، وكان له شخصيا دور في ربط هذه العلاقة حيث كان يتردد على تلمسان ويعود بالآراء التي تمثل وجهة نظر الجزائريين في القضايا المشتركة** »[2].

كما استفاد الرّحالة أيضا من الآخر علميا، في أثناء حديثه عن الأستاذ المنوني حيث يقول:« **معظم المثقفين المغاربة يعرفون الأستاذ محمد المنوني حيبا عاملا في صمت، ويعرفونه كذلك مؤلفا باحثا... وقد أخبرني أن أصير حديث كتابه (يقظة المغرب الحديث) الذي فيه إلى سنة 1930... ولو طالت مذكراتي للأستاذ المنوني لاستفدت منه معلومات جمّة كما جئت من أجله** »[3].

ركّز الرّحالة كذلك، على الأحداث والمناسبات الثقافية ودراسة المخطوطات وبخاصة الجزائرية منها، لأن هدفه من الرّحلة هو البحث على مادة جديدة لكتابه تاريخ الجزائر حيث يقول:« **كنت حريصا أثناء إقامتي**

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 204، 205.

[2] – المصدر نفسه، ص 211.

[3] – المصدر نفسه، ص 213.

بالمغرب على توفير كل وقتي للبحث الذي جئت من أجله لذلك تفاديت لقاء الأشخاص والاتصال بالأصدقاء... ومع ذلك التقيت بعدد من المغاربة والجزائريين هناك بطريق الصدفة »[1].

وتظهر صورة الأنا المثقفة بصورة واضحة في أثناء رحلته إلى الجزيرة العربية حيث كان ينتابه الفصول العلمي، وركز على الحضور للندوات حيث قال:« **فمنذ اتصلت من جامعة الرياض بدعوة للمشاركة في الندوة التي تنظمها عن مصادر تاريخ الجزيرة العربية عزمت على تحقيق أمنيتي القديمة، وشرعت في الاستعداد الروحي والمادي معا**»[2].

ونجده كذلك في أثناء رحلته يسجل كعاداته وانطباعاته في أي بلد يزوره عن الثقافة والتاريخ حيث يقول:«**سجلت على رحلتي إلى الجزيرة العربية، ويعود ذلك لأهمية الحادث في حياتي من جهة ولأهمية الجزيرة العربية في تاريخ العرب والمسلمين من جهة أخرى، وقد تجمع لدي من ذلك كراسة لو انفتحت وطبعت لجاءت في مجلد وسط**»[3].

ذكر عند حضوره الندوة أعضاءها والمسؤولين عليها، وعن كيفية الافتتاح في قاعة المحاضرات حيث يقول:«**لأن الافتتاح الرسمي للندوة كان قد أوشك على البداية، وذلك في قاعة المحاضرات بجامعة الرياض... يتقدمهم السيد وزير التعليم العالي ... تم الافتتاح بتّلاوة آيات من القرآن الكرّيم**»[4].

تحدّث الرّحالة عن موضوع الندوة ومضمونها، بأنه موضوع واسع جدا حيث يقول:«... **يتناول مصادر تاريخ الجزيرة العربية خلال العصور المختلفة وفي جميع ظواهرها** »[5].

اهتّم سعد الله بالأبحاث بمختلف مشاربها، وتعدد مستوياتها حيث يقول:« **فقد تناول الباحثون مختلف عصور الجزيرة العربية فلم يتركوا حجرًا أثريا إلا حفروا تحته ولا حرفا لغويا إلا تتبعوه ولا مخطوطا إلا**

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 209.
[2] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 235.
[3] – المصدر نفسه، ص 236.
[4] – المصدر نفسه، ص 240.
[5] – المصدر نفسه، ص ن.

حققوه ... وقد بلغني أن الأبحاث المقبولة قد تجاوزت المائة... وقد سمعنا أبحاثا في غاية الجودة والموضوعية كان أصحابها يحاولون البحث عن الحقيقة بقطع النظر عن التيارات الظاهرة والخفية... وسمعنا بعض الباحثين التي حاول أصحابها تحريف التاريخ تملقا لهذه الجهة أو تلك»[1].

وفي قاعة المحاضرات، التي خصصت للأبحاث المتعلقة بالعصر القديم والإسلامي ألقي بحثه:« **ألقيت بحثي المذكور كما ترأست إحدى الجلسات بالاشتراك مع أحد الباحثين الإنجليز**»[2]. وهذا يعني أن الرّحالة خلال إلقاء بحثه احتك مع الباحثين الغرب.

كان الرّحالة يحتك بأعضاء الندوة ويخالطهم ويذهب معهم إلى المكتبات وهذا يؤكده من خلال قوله: «**اغتنمت فرصة من الوقت وذهبت رفقة بعض الأعضاء إلى مكتبة جامعة الرياض، والمكتبة الحالية في أحدث طراز... كنت أرغب في زيارة القسم الثاني بالدرجة الأولى، ولكن ضيق الوقت لم يسمح لنا إلا بزيارة القسم الأول**»[3].

تتجلّى الأنا المثقفة هنا أيضا من خلال زياراته للمناسبات والحفلات التي ينظمونها أعضاء الندوة، وذلك من أجل الاطلاع على معارفهم ومكتباتهم فيقول:« **وفي إحدى المناسبات زرت أيضا مبنى كلية الآداب وتجولت في أقسامها وكانت الكلية، أيام تواجدنا خلية نحل بالعاملين في الندوة لأن سحب البحوث يتم هناك ورئاسة الندوة نفسها هناك أيضا**»[4].

اهتمت الأنا المثقفة في رحلة أبي القاسم سعد الله إلى الجزيرة العربية بالندواة، والبحوث العلمية.

كما ظهرت الأنا المثقفة في رحلته إلى خنقة سيدي ناجي، من خلال اهتمامه بما كتبه الرّحالة عن خنقه سيدي ناجي، والاطلاع على ما بقي من أثارها قبل الاحتلال الفرنسي وهذا ما أكده من خلال قوله:« **وأنا من هؤلاء فقد شغلت مآثر الخنقة القديمة حيزا طيبا من كتابي (تاريخ الجزائر الثقافي) خلال العهد**

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 241، 242.
[2] – المصدر نفسه، ص 243.
[3] – المصدر نفسه، ص 246.
[4] – المصدر نفسه، ص ن.

العثماني، وكنت قد قرأت ما كتبه عنها عبد الله العياشي المغربي، والحسين الورتلاني، وخليفة بن حسن القماري وغيرهم، لذلك كنت أتحين الفرصة لزيارتها وربط حاضرها بماضيها»[1].

كان الرّحالة مهتما كثيرا بالمعالم الأثرية والمراكز العلمية لهذه المدينة، مما جعله يحتك ويجلس مع العلماء والباحثين لكي يسجل اهتماماته بهذه المدينة وهذا يؤكده من خلال قوله:« **وإنّما اهتماماتي الآن بالمعالم الأثرية والمراكز العلمية... وقد نظم الأخوان أيضا زيارة دار الشيخ أحمد زروق بلمكي الذي هو ما قيل لي ومن أبرز علماء الخنقة الأحياء... كما أخرج لي ملفا فيه بعض الآثار المخطوطة منها قصيدة لوالده في شؤون الدين لم أسجل عنوانها، وقد وعدني بنسخ نسخة منها»**[2].

بروز الأنا من خلال تعليم الرّحالة على أيدي العلماء والشيوخ وغيرهما، حيث يقول:« **وقد علمت من الأخوان الدريدي والسالمي وغيرهما أن المراكز الدينية والعلمية بالخنقة في القديم هي...»**[3].

يعود حضور الأنا المثقفة في رحلات أبي القاسم سعد الله، ذلك من أجل التعبير عن عملية التعليم والتنوير الذي نجمت عن الاتصال المتزايد بين الرّحالة والعلماء والباحثين.

ثانيا– الآخر:

باعتبّار الآخر نقيض الذات وللبحث عنه واكتشاف صورته لابد من التطرق إلى العديد من الأسئلة والنقاشات حتى نتوصل إلى اكتشاف الآخر، ومحاولة التعرف على فكره وثقافته لابد من الولوج إلى ما بداخل الإنسان، وهذا ما يجعل لأدب الرّحلة أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع فبفضله يُدرك الآخر ونكتشف المجهول والوصول إلى الغاية والمعرفة الحقيقية، فقد يكون الآخر هو المقياس الذي من خلاله يتعرف الأنا على حضوره في مختلف المجالات دينيا، ومذهبيا، وقوميا، وجغرافيا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا، وقد قام أبو القاسم سعد الله بالرّحلة من أجل مواجهة الآفاق بين الذات والآخر.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 257.

[2] – المصدر نفسه، ص 259.

[3] – المصدر نفسه، ص 259، 260.

1- الآخر مكانيا وجغرافيا:

لقد قدم كثير من الرّحالة المكان من خلال تجربته الذاتية ورؤيته النافذة في أعماق المكان فمثلا نجد سعد الله الذي جذبه الآخر أي المكان فوصفه بكل دقة وتفصيل. وصف البيئة الطبيعية المتمثلة في الهواء، السحب، البحر، الليل، بروق العواصف، الظلام، الحدائق، البساتين...، والاصطناعية الناتجة عن صنع الإنسان أنوار المدينة تتلألأ، الفنادق، البنايات، السيارات، النافورات، نوّع الرّحالة في وصف الطبيعة، وكل ما يحتوي عليه المغرب بكل تفاصيله من المخطوطات والمكتبات والعلماء الشّيوخ والمثقفين، ظهر لنا وصفه للمكان عندما تحدّث عن جامع السنة المتواجد بمدينة الرباط « **وهو جامع ضخم وحديث مبني على الطراز الأندلسي- المغربي وقد وجدت مكتوبا عليه أن الذي بناه هو مولاي محمد بن عبد الله سنة 1785م ... ويضاء هذا الجامع ليلا كما تضاء صومعته العالية فيرى من بعيد كأجمل ما تكون الرؤية... وتوجد على يمين هذا الجامع ثانوية مولاي يوسف (اليوسفية) وعلى جنبات هذا الجزء من شارع محمد الخامس عدد من المنشآت الإدارية والتجارية العامة، كالبريد المركزي، ومجلس النواب، والبنك المغربي، ووزارة الإعلام وشركة طيران المغرب، وبعض دور السينما والفنادق، ومركز الشبكات** »[1]، من خلال وصف الرحالة للمكان نلحظ أنه لا يعتمد على الوصف الكامل في كلمة واحدة بل بالعكس إنه يفصل ويدقق في أبسط الأجزاء لدرجة أن القارئ وهو يتلقى الرّحلة يشعر بنفسه وكأنّه في قلب الحدث ويتعايش مع المكان وكأنّه حقيقة أمامه، «...**وقد وجدتني خارج سور المدينة القديم في حي غارق في الأشجار المعشوشبة المخضرة، وتطل منه المنازل البيضاء الناصعة كأنّها كثبان الثلج في غابة من غابات الشمال**»[2]، يبدو أن الرّحالة منبهر بجمال المدينة فمن قوله يتبين أنّه وصف حي مباشر يغلب عليه دقة المشاهدة والتصوير ونجد أن الرحالة يستخدم التشبيه في وصف المظاهر العمرانية شبه المنازل البيضاء بكثبان الثلج، وكذلك نقل لنا وصف يحوي على دقة فنّية «**كانت الشمس قد غربت ولم يبق في الأفق إلا الشفق، وطلع من الشرق القمر الذي أخذ يكبر، وظهرت النجوم في السماء والمصابيح في الأرض، هنا في الرباط وهناك في**

[1] - أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 208.

[2] - المصدر نفسه، ص 209.

سلا التي يفصلها (عن الرباط) وادي بورق زاق... وعلى بعد رأينا القطار كأنه خيط من الضوء يتحرك وسط الظلام الذي بدأ يلف الأفق البعيد،... هكذا بدت لي الطبيعة وأنا واقف أمام المحيط »[1]، أعجب أبو القاسم بجمال مدينة الرباط، وبخاصة وقت الغروب عندما اختفت الشمس وحلت محلها النجوم والقمر وأضواء المصابيح، وغلب على هذا التعبير الخيال في تشبيه القطار بخيط ضوئي يتحرك وسط الظلام كما نقل لنا أيضا صورة المكان في أثناء تنقله إلى مدينة الرياض «**وفي الطريق إليها مررنا بعدة قصور ملكية وأميرية حول مدينة الرياض، كما شاهدنا عن قرب وعن بعد عدة مشاريع عمرانية حديثة... وهي تقع على وادي بوحنيفة وحولها النخيل والأشجار وبعض الكدى، وهي تذكرك ببعض مدن الصحراء الجزائرية مثل بسكرة وبوسعادة** »[2].

نقل سعد الله المكان نقلا مباشرا مبديا إعجابه بما تحويه المدينة من منشآت عمرانية مبهرة ومناظر طبيعية التي تخطف الأنظار «**كما يشاهد المرء فيها المباني الحكومية الفخمة ذات الطراز المحلي الواقي من حرارة الشمس والعمارات الشاهقة والفنادق التي تنسيك أحيانا أنّك في صحراء** »[3]، كانت الجزيرة العربية تزّخر بمظاهر عمرانية ضخمة ومتطورة من الطراز الرفيع، ومن هذا الوصف يبدو لنا الرّحالة متعجب من جمال المناظر التي بمجرد بمشاهدتها تنسى أنّك متواجد في الصّحراء، لقد برّع الرّحالة في وصف المكان، والتعامل مع الآخر وفق ما تمليه عليه مقتضيات المكان الطبيعية والبشرية «**وفي الطريق مررنا بإزاء مدينة سيدي عقبة وزريبة الوادي وبعض القرى الأخرى... وحين اقتربنا من الخنقة كاد جبل ششار يسد الطريق في وجوهنا حتى لقد تساءلت أين المدينة وسط هذا المثلث الصخري الهائل، ولولا بعض رؤوس النخيل وبعض القباب القديمة في سفح الجبل لما عرفنا أن العمران قد حط رحاله** »[4] غلب الإحساس على الرّحالة بالمكان المميز الذي تمتاز به الخنقة من خلال دقة سعد الله في التصوير لاستثارة الحس

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 226، 227.

[2] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 24.

[3] – المصدر نفسه، ص 245.

[4] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 257، 258.

بحيث تسهل عملية الربط بين المكان ومحور الوصف أي الآخر «**وعند خروجنا من دار السيد دريدي توقفنا عند وادي العرب العظّيم الذي تحوط به الدور من جهة والنّخيل وأشجار الفاكهة والخضر من جهة أخرى ونظر نظرة طائر هنا وهناك فإذا الخنقة خلافا لمدن وقرى القطر الأخرى** »[1] غلب على الرّحلة دّقة الملاحظة والنقل، ونشهد ذلك في التفاصيل الجغرافية الدّقيقة للأمكنة التي عايشها الرّحالة ووقّف على حدودها منذ لحظة الوصول حتى الانتقال لغير مكان، ومن أمثلة الوصف الجغرافي للمكان التي أبدى فيها الرّحالة معرفة واضحة بجغرافية المكان «**في يوم 8 فبراير 1980 توجهت بكرة (الساعة السادسة صباحا)... إلى خنقة سيدي ناجي انطلاقا من بسكرة وكانت المسافة بين النقطتين حوالي 95 كلم** »[2] هكذا تمظهرت صورة الآخر جغرافيا من خلال إشارات جغرافية.

تتمثل هذه الإشارات في وصف المكان وذكر المسافة بين مدينة وأخرى بالإضافة إلى هذا وصف الطّقس ويتّضح هذا الوصف حول المستوى المكاني «**والفاو مدينة تبعد حوالي سبعمائة كيلومتر عن الرياض، وهي تقع في الربع الخالي** »[3] وضع الرّحالة خارطة جغرافية يعرفنا من خلالها على المسافات والمدن وقراها وطرقاتها «**المسافة بين الدار البيضاء والرباط حوالي تسعين كيلومتر**»[4]، اعتنّى سعد الله بجغرافية المكان وأوّلاه اهتماما كبيرا يقول في وصفه لطقس مدينة الرباط «**وكان طقس الرباط أكثر لطفا من جو العاصمة** »[5]، وهذا ما جعل العلاقة تقوم بين الرّحالة والمكان حتى تنبثق ملامح الآخر الساكن لهذا المكان ونستطيع التعرف عليه في شتّى المجالات وتتّوضح لدينا صورته، ومن هنا تكتسب الرّحلة بعدا معرفيا إضافيا يتمثل في وقوفها على الكثير من الأماكن.

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 259.

[2] – المصدر نفسه، ص 257.

[3] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 244.

[4] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 207.

[5] – المصدر نفسه، ص 208.

2- صورة الآخر اجتماعيا:

تمثل الآخر غالبا، بتصوير الحياة الاجتماعية، حيث يعطي اهتماما بطباع الشعوب وأخلاقها، وعاداتها المعهودة منها، والغريبة خلال المواسم والاحتفالات والعيادات، والمعاملات اليومية بينهم، حيث نجد أن الرّحالة أعطى صورة للآخر في أثناء رحلته إلى المغرب، صورة العربي والأصيل، وكرم المغربي فالكرم صفة أهل المغرب كما يراها سعد الله وهذا يؤكده من خلال قوله:«**وكما لم يبخل عليّ الزميل كريم بعلمه فإنّه لم يبخل عليّ، بطعامه، فقد دعاني للغذاء على مائدته، وقد حملني من الفندق في سيارته إلى حيّ الليمون الجميل ... ويعد التجول في حديقة المسكن توجهنا بالسيارة أيضا إلى منزل صهره حيث تقيم أسرته مؤقتا في انتظار نهاية أشغال البناء، وهناك تناولنا الغذاء بالأيدي كعادة المغاربة** »[1] من خلال هذا نلاحّظ أن الرّحالة انبّهر بكرم المغاربة وحسن استقبالهم، والحفاظ على العادات والتقاليد، يظهر هذا من خلال وصف الرّحالة على طريقة أكل الطعام بالأيدي.

قدم سعد الله لقراء رحلته إلى المغرب معلومات شتى، عن ملامح الحياة العامة للشعوب، وأبرز أنماط العيش عن الآخر، ويتجلّى ذلك في المأكل والمسكن والمشرب، وقد وضح لنا الرّحالة في أثناء زيارته لأسرة آل الضائع أصهار عباس الجزائري، يقول:«**وتناولنا العشاء في منزل آل صانع على الطريقة المغربية التقليدية بغسل الأيدي قبل وبعد الأكل، ثم تناولنا الطعام بمقدمة الأصابع في طبق واحد موضوع على صينية كبيرة لامعة... وقد زينت الجدران بالزليج الملون المشكل بمختلف الأشكال الهندسية... وعلى الجدران علقت بعض صور الأسرة** »[2].

كما أخبرنا سعد الله عن الآخر اجتماعيا من خلال زيارته إلى بيت الشيخ الله الجراري حيث وصف مأكلهم، وجلوسهم وغيرها، حيث يقول:«**فبعد الجلوس في قاعدة مفروشة بالزرابي المنمقة، والأرائك الهشة والمحلاة بالتحف الثمينة، والمناضد المنقوشة بالزخرفة... توجهنا إلى قاعة الطعام حيث تحلقنا**

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 217.

[2] – المصدر نفسه، ص 223.

حول مادة دسمة تبدأ بالبسطيلا المسكرة الملوزة، وتثني بالدجاج المحمر المتبل وتتنقل إلى الكسكسي المصفر بالزعفران الحر والمدهون بأصيل الدهان، ونختم بالفاكهة المنتقاة من خير ما تجود به حقول المغرب المعطاء... وعلى إثر الغذاء عدنا إلى قاعة الجلوس حيث شربنا القهوة ثم الشاي »[1] فكل هذا يصور لنا جود وكرم أهل المغرب وبخاصة أهل مدينة الرباط.

التفت انتباه الرّحالة كذلك على بنايات وعمران الآخر حيث أعجب بضريح محمد الخامس وهذا ما يؤكده من خلال قوله:«**ومازالت الأعمال جارية في ضريح محمد الخامس، ولكن الجزء الذي انتهى منه يمثل أعجوبة في الصنعة والذوق والمهارة فهو يحتوي، على فسيفساء نادرة، ورخام ملون، ونقوش مذهبة في الأسقف والجوانب العليا... وللضريح أيضا عدة أبواب في الأسفل بعضها يقود إلى الجامع الملحق به، وبعضها يؤدي إلى الخارج** »[2].

تعد حركة التداول الآخر الاجتماعي القائمة بين أفراد المجتمع الواحد، أو بين المجتمعات ذاتها على نطاق أوسع واحدة من أبرز المشاهدة التي وقفت عندها رحلة أبو قاسم سعد الله، زيارته إلى الجزيرة العربية، ورصد الصور المتعددة لأشكال العلاقات الاجتماعية والمتمثلة في العادات والتقاليد، والبناء الفكري والسلوكي للمجتمعات، وقد رصد لنا الرّحالة أنه وجد إهمالا كبيرا للحكومة حيث يقول:«... **رغم أن الشركة أكدت لنا بأنّها أبرقت بوصولنا، وظننا أن الأمور ستتعقد، فليس هناك حجز لنا فيها... وليس هناك عشاء** »[3].

نقل الرّحالة في نصه كثيرا مما رآه، وعايشه معهم في تلك الفترة، فألقى الضوء على ملابس الآخر حيث يقول:«**وعندما تقدمنا من عتبة المطار وجدنا مستقبلين بزيهم العربي الوطني** »[4].

ومن الأخبار الاجتماعية التي قدمها الرحالة عن الآخر عن عاداتهم وتقاليدهم في المأكل والشرب والجلوس وتحدث أيضا عن عادة السعوديين في رقصة السيف حيث يقول:«... **اصطففت الوفود على شكل قوس**

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 224، 225.
[2] – المصدر نفسه، ص 227.
[3] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 237- 239.
[4] – المصدر نفسه، ص 239.

كبير على فرش وأرائك وقدمت لهم القهوة العربية قبل تناول العشاء، ثم صففت جفان الأرز باللحم وأعقبوها بالشاي... أن تأتي فرقة سعودية تقليدية لتؤدي (رقصة السيف) »[1].

ووجد الرّحالة في أهل المدينة المنورة حسن معاملتهم وتأدبهم، كما لاحظ سهولة الحياة، وفرة المواصلات، وكثرة الزوار من كل ناحية، والأمر ذاته في بساطة الحياة بمكة، حيث ذكر لباس أهل مكّة وذلك من خلال قوله:«**ذلك أنّه يكفي من اللباس ما أحاط بالجسم ويكفي للقدم نعل مفتوح ساذج، ويكفي لتغطية الرأس ما خف للوقاية من المشمس، وسرعان ما تجف أطرافك إذا توضأت وما تنشف ثيابك إذا غسلتها، ويبدو أن المأكل والمشرب أيضا بسيط** »[2].

شاهد الرّحالة في مكّة عددا كبيرا من الإفريقيين من عمال، ومهاجرين، ومعتمرين وتجار، وفيها هي يعج بالزنوج وجامعة تضم عددا من الطلبة الإفريقيين، كما أنّ الحركة في مكة كثيرة جدا وذلك من خلال قوله:«**والحركة فيها حية طول الليل والأمن شامل، والناس يقومون بمهماتهم كل في حال سبيله** »[3].

أشار كذلك سعد الله في أثناء تجوله في أحياء مكّة وبخاصة سوق الليل وسوق أبي سفيان، حيث زار رواق المغاربة لفت انتباهه إلى عادة غريبة يقول:«**وقد دخلت هذا الرواق فوجدت فيه أحد المغاربة من الدار البيضاء فاعترض على لبسي خاتم الزواج قائلا لي أن لابس الذهب سيكوى به يوم القيامة، وقد وجدته يطعم القطط لحما**»[4].

وأشّار سعد الله في أكثر من مناسبة على بداية الانفتاح في السعودية، وكانت له فكرة مغايرة عن البلد، إذ وجد محلات الجزائر والمجلات المليئة بالصحافة الفنّية التي تورد أخبار النجوم والفنانات بالصور، كما شاهد في التليفزيون السعودي حصة تعتني بتجميل المرأة، وتعرض صورا في ذلك كما وجد اهتماما بالغا من قبل أهلها لمشاهدة مباريات كرة القدم على التلفزيون، لكنه لمس غياب دور السينما على الرغم من وجود عروض

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 244.
[2] – المصدر نفسه، ص 253.
[3] – المصدر نفسه، ص 252.
[4] – المصدر نفسه، ص ن.

لأفلام في فندق الرياض "**الزهرة**" الذي أقام فيه الرحالة، ولاحظ أن المجتمع السعودي تحول اجتماعيا وذلك من خلال قوله:«**وقد لاحظ أحد أعضاء الندوة بأن المجتمع السعودي يمر بتحول اجتماعي كبير، وإن نتائج هذا التحول ستظهر قريبا**»[1].

ركز الرحالة كذلك أثناء وصوله إلى مطار جدة عن تأدب الشرطي، وحسن المعاملة معه يقول:« **أثناء مروري بشرطة الجوازات بحث الشرطي عن الحرف العربي في جواز السفر فلم يجده، فرفع بصره إلي وقال بأدب جم**»[2] وهذا يعني أن الرّحالة أعجب بمعاملة الشرطي، وأسلوب الكلام معه بلطف ولباقة.

تتحلّى صورة الآخر اجتماعيا في رحلة خنقة سيدي ناجي، حيث ركز الرحالة على لباسهم وزيهم التقليدي، حيث يقول:«**وإذا الناس في زيهم المحلي (البرانس أو القشبية) ويختلفون في الأزقة وعند الدكاكين القليلة** »[3].

كما أخبرنا كذلك سعد الله عن حسن استضافتهم، ومعاملتهم، وجودهم وكرمهم، يقول:«**فقد استضافنا السيد الدريدي بداره على العسل والجوز**»[4].

نقل الرّحالة في نص رحلته كثيرا مما رآه، أو عايشه وألقى الضوء على كثير من عادات وتقاليد الزوار الذين زاروا هذه الخنقة منها التبرك بالأضرحة حيث يقول:«**غير أن الزوار أخذوا منها للتبرك فتناقصت، ولم يسلم باب الضريح من العبث إذ نقش عليه أحد الزوار بيتين أو أكثر من الشعر بطريقة التثقيب في الخشب**»[5].

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 254.

[2] – المصدر نفسه، ص 255.

[3] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 256.

[4] – المصدر نفسه، ص 252- 256.

[5] – المصدر نفسه، ص 263.

إذا من خلال هذه الرّحلات تبين أن الآخر اجتماعيا، تحدث عن الجميع، حيث اهتم بطباع الشعوب، وأخلاقها، وعاداتها المعهودة منها، والغريبة خلال المواسم والاحتفالات والعبادات، والمعاملات اليومية بينهم وذلك من أجل محاولة اكتشاف هوياتهم، وفهم طابعهم، واعتنوا بجانب تصوير الحياة الاجتماعية.

ثالثا– مواقف الأنا اتجاه الآخر:

إن العلاقة بين الأنا والآخر على مرّ العصور والأزمنة لم تتقطع يوما، بل كانت مستمرة، فمنذ نشأة الكوّن والإنسان ينتقل ويرّتحل بحثا عما يسد له حاجياته، ليبدأ في التواصل والتعامل مع غيره من الأمم والشعوب الأخرى، أي أن الأنا تحتك بما جاوره من الأمم الأخرى إمّا عن طريق التجارة أو المعاهدات والمواثيق، ومن خلال هذا الاحتكاك والتواصل يكون الأنا رؤى مختلفة، ومتعدّدة، ومتباينة عن الآخر، ولقد جسدت في متون رحلات سعد الله كثيرة، وهذا يعني أنّ موقف الأنا اتجاه الآخر في رحلات سعد الله كان إيجابي وذلك من خلال:

1– موقف الإعجاب:

ونقصد بها النظرة القائمة على الإعجاب والاندهاش، والانبهار بالآخر، وهذا لما وصل إليه من تفوق، وازدهار ورقي، وتقدم.

فأصحاب هذه الرؤية يرون أنّ الغرب بما حققه من ازدهار وتقدم في مختلف مجالات الحياة وعلى كافة الأصعدة، الاقتصادية، والعلمية، والثقافية والحضارية فهو جدير أن ننبهر ونعجب به، بل ويستحق الاحترام والتقدير أيضا، فغالبا ما تكون هده الرؤية «**في البداية فطرية ساذجة، أو نظرة داعية نسبيا ما بالفوارق الموجودة بين الشرق والغرب بين المكان الأصل ومكان الغواية والافتتان** »[1].

[1] – جميل حمداوي: صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي، http//www.elanaa.elakhare.com، 2021/06/06. 14:30.

فالأنا يدرك ويعي الاختلاف والتباين الكبير بينه وبين الآخر، فالأنا بالنسبة للرّحالة ذو عقلية متخلفة، بسيطة، بدائية، نشأ نشأة محافظة وتقليدية أما الآخر، فهو ذو عقلية، متقدمة، متحررة، وقوة جبارة عظيمة، فتنتج عن هذه المقارنة نظرة احتقار وتدني للأنا، ونظرة تفوق وازدهار، ورقي إلى الآخر.

ومن الرّحلات التي جسدت هذه الرؤية نجد رحلتي إلى المغرب التي تمت رحلته في 29 جويلية 1937، حيث أعجب الكاتب بهذه المدينة فأخذ في وصفها ووصف المحيط والبحر، حيث نقل فيها كل ما شاهده وخبر عن أحوال بلاد المغرب، وما رآه من مشاهدات مختلفة وذلك من خلال قوله:« ... **وكان بصري ويكاد يقع على الأرض فقد كان معلقا في اللافتات وأسماء الشوارع والبنايات والأضواء الباهرة، وكنت التفت يمينية وسيرة أحيانا في نفس الوقت، وأسير على غير هدى ويكاد لا يعرفني عندئذ أن يقول عني بأن بي مسًا من الهوس** »[1].

والحال نفسه مع رحلته إلى الجزيرة العربية حيث جسد فيها الرؤية الإنبهارية بالحضارة الآخر وعلومها وفنونها وثقافتها.

2- رؤية الأنا للآخر حضاريا:

موقف الأنا بالنسبة للآخر يقوم على انغلاق الذات على نفسها لا ينفعها ولا فائدة منه، بل لابد من تبادل الخبرات والمعارف والعلوم مع الغير، لقد كانت الرحلة ومازالت من أبرز وسائل التواصل مع الآخر أينما وجد، فهي المنفذ الفعلي لعبور الحواجز التي يعتقد أنها موجودة في اجتياز الجسور الموصلة إلى فكر الآخر ومنهج حياته بكافة مكوناته، وإشارة إلى ما قدمه سعد الله من خلال رحلاته وميله للآخر ونظرته له نظرة مفاضلة وتباهي فيقول:«**والرّحالة الجزائريون قليلون إذا قيسوا بالرحالة المغاربة، وأقل من القليل أولئك الذين اتجهوا منهم نحو المغرب بدل المشرق** »[2]، تمنى الرحالة لو أن الجزائريون مثل المغاربة في الترحال

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 208.

[2] – المصدر نفسه، ص 204.

والاكتشاف والنشاط في التنقل، وفي أثناء رحلته إلى المغرب يقول:«**وشاهدت في جولاتي (رغم أنما كانت محدودة) أشياء كثيرة انتزعت إعجابي لأنها جزء من حضارتي ووطني الأكبر**»[1].

من خلال قوله أبدى إعجابه واضح بالآخر ولم يندم على هذه الزيارة لأنّه استفاد منها كثيرا ومن حضارتهم من خلال احتكاكه بالعلماء والشيوخ والتعرف على الأماكن وانبهاره بها وباستعمالهم العقل والفكر وينظرون إلى الأمام من أجل التقدم والتطور ولم يبخلوا عليه بالمعلومات وكل ما يحتاجه من معارف وعلم وهذا ما جعله يعجب بالغير خلال رحلاته:«**في إحدى الجولات الجماعية دخلنا المتحف الوطني بالرياض، فإذا هو، على صغره تحفة من حيث التنظيم والتنسيق وطريقة العرض... هكذا والا فلا! أين نحن مما كنا نعتقد في العالم العربي؟**»[2]، نقل الرّحالة صورة الدول العربية ونظرة العربي لها، صورة من الجزيرة العربية ومنبهر من هذا التعبير ومفتخر بموطنه العربي لاندهاش الغربي في صورته يقول:«**كل من قرأ ما كتبه الرّحالون والدارسون عن خنقة سيدي ناجي قبل الاحتلال الفرنسي تحن نفسه إلى رؤيتها اليوم للاطلاع على ما تبقى من آثارها** »[3]، محبّ في الاطلاع والمعرفة أخذ يتحدث عن آثارها ومكانتها وعن علمائها وشّيوخها الذين لهم الفضل الكبير في التقدم الحضاري، وهذا ما جعل سعد الله يكشف لنا عن الإنسان من خلال رحلاته العربية والغربية فهو بطبعه متعطش لمعرفة العالم المحيط به، وشغوف برصد التفاصيل المكونة لحياة الآخر على كافة المستويات الاجتماعية والدّينية والثقافية وكل ما يتصل بها.

[1] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى المغرب (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 205.

[2] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى الجزيرة العربية (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 245، 246.

[3] – أبو القاسم سعد الله: رحلتي إلى خنقة سيدي ناجي (تجارب في الأدب والرحلة)، ص 257.

خاتمة

خاتـمة

لقد أصبحت الرّحلة فنّا من الفنون الشائعة في معظم أقطار العالم، وساعد على ازدهارها اختلاط الشعوب فيما بينهم عن طريق وفرة وسهولة المواصلات، وحبّ الاطلاع والاكتشاف، ومعرفة ما في هذا العالم من عادات وأخلاق وعلوم وثقافة وغير ذلك. ويعدّ أصدق الفنون وأعذبها لأنه قادر على التعريف بالواقع ونقل صورته وصورة العصر الذي ينتمي إليه، عندما نتحدث عن الأدب الجزائري نجده كغيره من الآداب العربية غنيًّا بفن الرّحلة وبالأخص في العصر الحديث.

من خلال دراستنا لرحلات "أبي القاسم سعد الله" تحديدًا جدلية الأنا والآخر، توصلنا إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط الآتية:

1-من سمات أدب الرّحلة الانفتاح على الآخر، فهو قابل على احتضان أنساق ومعارف مختلفة.

2-يتميز الرّحالة بالصدق في المحاكاة ونقل الواقع.

3-عكست رحلات أبو القاسم سعد الله باختلافاتها أحوال المجتمع العربي وعاداته، وكشفت عن الانتماء لثقافة الأنا وفهم ثقافة الآخر.

4-رحلات سعد الله الداخلية تمتاز بالقّيم الاجتماعية والدينية والتاريخية، بينما الخارجية تزخر بالمضامين والقيم الثقافية الفكرية والاجتماعية.

5-أسهمت البنية السردية بعناصرها المختلفة (الأحداث، الشخصيات، الزمان، المكان) في تماسك وانسجام النص الرّحلي الذي يستحيل الاستغناء عنها مهما كان نوع الرّحلة وبيئتها.

6-اهتم سعد الله من خلال رحلاته جمع المعلومات والبحث عن المخطوطات والكتب.

7-توضح لنا من خلال بحثنا أنّ "الأنا" هي الذات و "الآخر" هو المختلف عنه وقد يمثلهُ فرد أو جماعة أو شعب يكون قريبًا منه أو بعيد يعكس صورة "الأنا" فتعي ذاتها.

8-الثنائيات "الأنا" و"الآخر" توحي بالتوافق والإعجاب بنظرة إيجابية أدت إلى التفاعل بين الطرفين.

9-كان أبو القاسم سعد الله مؤرخا وأديبا ورحالة امتلك الحس الموضوعي والفني الذي يتجلّى في القيمة الفنّية والأدبية لرّحلاته.

قائمة
المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)، الدار القيمة سورية، (د.ط)، (د.ت).

أولا– المصادر:

- أبو قاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

ثانيا– المراجع:

- إبراهيم خليل الشبلي: الذات والآخر في الرواية السورية، دار فضاءات، سوريا، ط1، 2019.
- أحمد ياسين سليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعوب المعاصرة، دار الزمان، دمشق، ط1، 2009.
- بلال سالم الهروط: صورة الآخر في أدب الرّحلات الأندلسية، رسالة مقدمة لاستكمال الحصول على درجة الدكتوراه، إشراف: فايز القيسي، جامعة مؤتة، الأردن، 2016.
- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
- رشيد الحضري وآخرون: الرّحلة مغامرة أم مشروع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنسك، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013.
- سميرة أنساعد: الرحلة في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور، دار الهدى، الجزائر، (د، ط)، 2009.
- شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، رؤية النشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
- شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، الجزائر، ط1، 2009.
- عبد الحليم عطية: جدل الأنا والآخر، قراءات نقدية في فكر حسن حنفي، مكتبة مدبولي الصغير للنشر، المواحدية، ط1، 1997.

- عبد الرحيم مودن: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006.
- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، عالم الفرقة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د، ط)، 1998.
- عمرو عبد العلي علام: الأنا والآخر الشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
- عمر بن قينة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، (د، ط)، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.
- غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط3، 1987.
- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2002.
- محمد بوعزة: تحليل الخطاب السردي تقنيات ومفاهيم، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 2010.
- مكي سعد الله: الأنا والآخر في أدب الرحلة، دراسة نقدية مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الأدب الحديث، إشراف الطيب بودربالة، جامعة باتنة1، الجزائر، 2017.
- مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.
- ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي (في نهاية القرن الرابع الهجري)، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1995.

ثالثا– المجلات:

- رابح الأطرش: مفهوم الزمن في الفكر والأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة فرحات عباس، سطيف، العدد مارس 2006.
- شرايطية إبراهيم: سلطان الأنا وصورة الآخر في رحلة ابن جبير، مجلة الأثر، جامعة القيروان، تونس، ع 30، جوان 2018، ص 242.

رابعا– المواقع الإلكترونية:

- جميل حمداوي: صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي،
http//www.elana.elakhare.com، 2021/06/06. 14:30.

فـــهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير

مقدمة..... أ-ج

مدخل

مفاهيم الأنا والآخر

أوّلا- ثنائية الأنا والآخر..... 5-12

1- مفهوم الأنا..... 5-6

أ-علم النفس..... 5-5

ب- الفلسفة..... 6-6

2-مفهوم الآخر..... 6-6

3- العلاقة بين الأنا و الآخر..... 7-9

4- أدب الرّحلة..... 9-13

أ-من الرّحلة إلى أدب الرّحلة..... 9-10

ب-الرّحلة في القرآن الكريم..... 10-12

ج-أدب الرّحلة الجزائري الحديث..... 12-13

الفصل الأول

البنية السردية في رحلات أبي القاسم سعد الله

أوّلا- الأحداث..... 15-19

ثانيا- الشخصيات..... 19-26

1- الشخصية المركزية أو الفعالة..... 20-23

2- الشخصيات المساعدة للرحالة..... 23-25

3- الشخصيات الثانوية..... 25-26

ثالثا- البنية الزمكانية في رحلات أبي القاسم سعد الله..... 26-36

1- بنية الزمن..... 31-26
أ-زمن الرّحلة..... 27-27
ب- زمن الإنطلاق..... 28-27
ج-زمن المسير..... 30-29
د-زمن الوصول..... 31-30
2- بنية المكان..... 36-31
أ-مكان الرّحلة..... 32-32
ب-المنطلق..... 33-32
ج-المعبر..... 34-33
د-مكان المقصد..... 35-34
هـ- المكان التاريخي..... 36-36

الفصل الثاني

جدلية الأنا والآخر في رحلات أبي القاسم سعد الله

أوّلا- الأنا..... 45-38
1-إعجاب الأنا بالآخر..... 41-38
2- الأنا المثقفة..... 45-42
ثانيا- الآخر..... 53-45
1-الآخر مكانيا وجغرافيا..... 48-46
2-صورة الآخر إجتماعيا..... 53-49
ثالثا- مواقف الأنا اتجاه الآخر..... 55-53
1-موقف الإعجاب..... 54-53

فهرس الموضوعات

2-رؤية الأنا للآخر حضاريا..... 54-55
خاتمة..... 57-57
قائمة المصادر والمراجع..... 59-61
فهرس الموضوعات..... 63-65
ملخص البحث.....

مـلخص البحث

ملخص البحث

تعدّ الرّحلة فنا من الفنون الأدبية الشائعة في العالم، وقد ساهم في تطورها وازدهارها اختلاط الشعوب ببعضها البعض، عن طريق حب الاطلاع والاكتشاف ومعرفة ما يوجد في العالم، ومن هذا المنطلق جاءت دراستنا جدلية الأنا والآخر في الرّحلات الجزائرية الحديثة أبو القاسم سعد الله أنموذجا.

افتتحنا بحثنا بمدخل تضمن أهم التعاريف والمفاهيم، الفصل الأول تناولنا فيها البنية السردية لرحلات سعد الله (أحداث، شخصيات، زمان ومكان)، أمّا الفصل الثاني فخصصناه للحديث عن جدلية الأنا والآخر، تطرقنا فيه إلى الأنا من حيث إعجابها بالآخر وثقافتها، ثم عرجنا إلى تصوير الآخر من الناحية الاجتماعية والمكانية والجغرافية، وينصرف القصد في هذه الورقة البحثية إلى الوقوف عند موقف الأنا من الآخر، وفي الأخير اختتمنا بحثنا بخاتمة عرضنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج خلال دراستنا للبحث.

- **Résumé :**

Le voyage est l'un des arts littéraires les plus importants au monde qui a rassemblé les peuples avec leur développement par amour de la découverte et de la connaissance de ce qui est dans le monde et de ce point de vue le thème c'est « la dialectique du moi et de l'autre du nomade algérien moderne à Abu al Qassem Saad Allah comme modèle ».

On a commencé par les définitions et les compréhensions les plus importants.

Dans le premier chapitre on a fait la structure narrative du Saad Allah « les évènements, les personnages, le lieu et le temps ».

Et dans le deuxième chapitre en a parlé de la dialectique du moi et de l'autre.

Enfin nous avons présenté nos résultats de notre étude de la recherche.